مدخل الى الأباء

الجزء الاول

اعداد: الاب ميشال نجم

املي السنة الدراسية ٧٩-١٩٨٠

معهد القديس يوحنا الدمشقي اللاهوتي - البلمند

فهرس مادة المدخل الى الآباء

الصفحة	الموضوع
١	ـ مقدمة عامة ـ
١١	ـ اقليمس اسقف روما
١٢	ـ تعليم الرسل الأثني عشر
١٢	ـ رسالة برنابا
١٤	ـ اغناطيوس الانطاكي
١٧	ـ بوليكربوس اسقف ازمير (نص استشهاده ايضا)
١٩	ـ هرماس الراعي
٢١	ـ بابياس
٢٢	ـ العرفانية المسيحية
٢٤	ـ الأدب الابوكريفي
٢٦	ـ الآباء المدافعون
٢٨	ـ اثينا غوراس الاثيناني
٣٠	ـ يوستينوس الشهيد
٣٣	ـ تاتيان السوري
٣٥	ـ ثيوفيلوس الانطاكي
٣٧	ـ ايريناوس اسقف ليون
٤٠	ـ هيوليتوس اسقف روما

الصفحة	الموضوع
٤٣	ـ مدرسة الاسكندرية
٤٣	ـ اقليمس الاسكندري
٤٦	ـ اوريجانس
٤٩	ـ ديونيسيوس الاسكندري
٥٣	ـ مدرسة انطاكية
٥٤	ـ ترتليان
٥٧	ـ كبريانوس
٦٠	ـ المدافعون عن تقية : الكسندروس الاسكندري افسائيوس الانطاكي اثناسيوس الكبير
٦٨	ـ كيرلس الاورشليمي
٧١	ـ الكبادوكيون
٧١	ـ باسيليوس الكبير
٧٨	ـ غريغوريوس اللاهوتي
٨٤	ـ غريغوريوس النيصصي
٩١	ـ يوحنا الذهبي الفم
١٠٢	ـ اميروسيوس المديولاني

الصفحة	الموضوع
١٠٥	ـ افرام السرياني
١٠٨	ـ ديونيسيوس الاريوباغي
١١٢	ـ ليونتيوس البيزنطي
١١٤	ـ ابيفانيوس القبرصي

السنة الاولى

== مدخل ==

== الى الابـــاء ==

مقدمة عامة :

١) ـ الادب والاباء :

لم تظهر المسيحية في بداية انطلاقتها ،اهتماما كبيرا بالاداب والفنون والفلسفة لان هذه كانت وثنية ،ولان توقع المسيحيين لحضور الرب الوشيك زاد تردد هم امام الادب والتأليف . واليهودية ايضا تجنبت في زمن المسيح الكتابة المنهجية والتأليف من اجل تثبيت الهام العهد القديم ووحيه .

لكن من الغرابة بمكان ان تبقى المسيحية غريبة عن الفنون والاداب والا تستخدمها كوسيلة ناجحة في نشر ايمانها . هذا ما جعلها تتبنى تدريجيا هذه الفنون والاداب والمناهج الفكرية ،لكن بعد ان وضعتها في خط روحانيتها واخضعتها للاهوتها ولفظت كل شيء منحرف فيها .

ان دوافع استخدام الادب والتأليف هي الاتية :

١) ـ تدوين الاعلان الالهي .
٢) ـ الكرازة وتفسير الاعلان وترجمته الى الناس.
٣) ـ دحض الهرطقات ونبذها .
٤) ـ التعبير عن الخبرات الروحية .
٥) ـ العبادة وتمجيد الخالق اى تدوين الصلوات والتضرعات .
٦) ـ الحفاظ على ذكر القديسين وحياتهم .

بما ان دوافع الكتابة عند الاباء لم تكن ذاتية ،لذلك فان دراسة ادبهم تختلف عن دراسة النصوص الادبية الاخرى . جهل هذا الامر قاد الى سوء فهم ادبهم ،فتحول الى بحث فيلولوجي (لغوى) وفلسفي والى التركيز على النواحي التاريخية فقط . وبذلك خضع ادبهم للتأمل الذهني وللعقائد المبتدعة وفقد اهميته الروحية .

٢) ـ الاباء :

الاباء في الكنيسة الاولى ،هم الرسل والقادة الروحيون والمعلمون .

الرسل هم اباء لانهم هم انفسهم اطلقوا على تلاميذهم لقب الابناء " اني انا الذى ولدتكم في المسيح يسوع بالانجيل " (١ كور ٤ : ١٥) . وكل من اقيم بعدهم هو اب ايضا . فخلفاء الرسل تميز معظمهم بالقداسة والحياة السامية وبتوجية الناس نحو الاتحاد بربهم . فالاب في الكنيسة هو من يلد المؤمنين في المسيح ويتحدهم به . انه الموجه الروحي والمرشد والكارز والمبشر ومقيم الاسرار والمعلم ، والمقتنى لموهبة التعليم والوعظ ونقل الحقيقة الالهية الى المؤمنين والمشعل الذى يعكس النور الالهي . ومن المفيد هنا ان نستشهد بالحوار الذى وقع بين الحاكم العسكرى في آسيا وبين الشماس الشهيد بابيلا ،اثناء محاكمته بحضور الجمهور الوثني . فقد سأله الحاكم : هل تملك اولادا ؟ اجابه : انني املك اولادا كثيرين . عندها قال الحاضرون انه يقصد الاولاد حسب الايمان المسيحي ،فعنّفه الحاكم ،لانه انتحل

بهذه الطريقة اسما كاذبا . لكن الشماس اعلن من جديد وبأبهة انه يملك في كل مدينة ومنطقة اولادا له في المسيح .

والقديس اسكندر الاورشليمي في رسالته الى اوريجنس يدعو معلميه اقليموس وبانتينون ابوين . وكذلك في سيرة استشهاد بوليكربوس نجد انه عندما سمع اليهود والوثنيون بأن بوليكربوس قد اعترف بأنه مسيحي في ملعب (استاد) ازمير ، صاحوا بصوت عظيم وقالوا : " هذا هو معلم آسيا واب المسيحيين " .

اذن ، الاباء هم حملة الرأي القويم وخلفاء الرسل وناقلوا الخبرة الروحية لذلك نصف كلامهم بأنه اقوال مأثورة ونعترف ان سلطانهم هو الذي يجعل الايمان قويما . الكنيسة نفسها تعيّد لهم في الاسبوع السابع بعد الفصح وترتل ذكصا الاباء التي تحتوي على كل العظمة التي تعطيها الكنيسة لهم " ان مصاف الاباء القديسين " .

لاهوت الاباء :

الكنيسة الارثوذكسية هي كتابية وآبائية بآن واحد ، انها كنيسة الاباء الذين نطقوا بالهام من الروح القدس ، تماما كما نطق الانجيليون والرسل . من هنا كانت اهمية كتاباتهم مساوية لاهمية الكتاب المقدس . فعمل الروح القدس لم ينته في العنصرة ، بل استمر ويستمر الى الابد ، اذ انه مقيم في الكنيسة . انه يفعل فيها على الدوام ويعطي ابناءها مواهب النعمة وخبراتها ويعلن لهم عن الحقيقة الالهية ، ان هم استجابوا لندائه . الرب نفسه قال لتلاميذه : " اما المعزي ، الروح القدس ، الذي سيرسله الآب باسمي ، فهو الذي يعلمكم كل شيء ويذكركم جميع ما قلت لكم " (يوحنا ١٤ : ٢٦) . وايضا " متى جاء هو روح الحق ، فانه يرشدكم الى الحقيقة كلها " ، (يوحنا ١٦ : ١٣) بنعمة الروح هذه يفصحون عن الحقيقة الانجيلية نفسها ، اي انهم لا يتكلمون على اله آخر او خالق آخر ، انما يلجون في الحقائق الالهية ويقتنون خبرة روحية عميقة ويعيشون حياة النعمة ويحدثون بعظائم الله . هذا مما جعل لاهوتهم المرجع الحقيقي للاهوت الارثوذكسي والمقياس القويم للايمان الحقيقي والمعيار الدقيق لتفسير الكتاب المقدس .

وعلى الرغم من ان لاهوتهم مدون بتسلسل منطقي ، ومكتوب احيانا بلغة فلسفية ، فانه بسيط كالانجيل ونابع ، كما قلنا ، من خبرة حقيقية انه غير منفصل عن الحياة في المسيح ومن حياة التأمل والصلاة وكما يقول يوحنا السلمي " قمة الطهارة هي اساس اللاهوت " .

لاهوتهم ينبع من نقاء النفس وشفافية الوجدان والتخمر بخميرة المسيح وقهر القوى الشريرة التي في هذا العالم . وهو انعكاس لعمل الروح القدس ، اذ انهم مستنيرون من الروح وملهمون من الله . اللاهوت لا ينمو الا بالعمل الالهي والمشاركة الانسانية . ولذلك كل اب من آباء الكنيسة يقدم ، بانارة الروح ، شيئا جديدا ، خبرة جديدة ، توضيحا جديدا ، معرفة جديدة ، على الرغم من ان هذه المعرفة هي امتداد للمعرفة الانجيلية والآبائية . الجديد الذي يحمله كل أب هو جديد بالنسبة الى تعابير الكتاب وتعابير الاباء الذين سبقوه ، لكنه ليس بدعة جديدة وتعليما جديدا ، لان تعليمه مماثل لتعليم الكنيسة . لا بل ان خبرة كل اب تصبح خبرة الكنيسة ذاتها ، لانه يتكلم من قلب الكنيسة وهذه التعابير الجديدة التي يحملها كل اب ليست خارجية فقط انما هي مرتبطة بخبرة الحقيقة التي يعلنها الله له .

انه لخطأ القول ان كل اب يملك خطا لاهوتيا خاصا به لان هذا سيقود الى تكران اعلانهم عن الحقيقة الواحدة والى رفض اقتناء الخبرة الالهية التي يحصل عليها كل اب . بالطبع هناك اختلافات في بعض الاحيان بين اب واب ، لكن هذه الاختلافات لا تمس الاساس نفسه . وهي دليل على ان الروح القدس لا يحرم الانسان حريته ووجوده الشخصي ، في حين ان الشيطان هو مكبد الانسان والمنتزع منه كل مقدرة على العطاء الشخصي . كما ان بعض الاباء وقعوا في بعض الاخطاء ، لكن الكنيسة لم ترفضهم ، بل رفضت اخطاءهم ، لان الضلال عندهم ، كما يقول فوتيوس يعود الى ما هو انساني عندهم ، ولان الخطاء كان في الامور غير الخاسمة ، ففي الامور الحاسمة كان الروح ينيرهم وينير عقولهم كي يتكلموا بلا خطاء .

اتباع الاباء :

الاباء كما قلنا هم امتداد للرسل ، لان الرسل سلموا الوديعة الى الاباء ، ولذلك فان اتباع تعليمهم هو المطلب الاساسي لكل المؤمنين . فشهادة الارثوذكسية واصالتها وسلطان تعليمها موجودة عندهم . القديس اثناسيوس الكبير يقول في كتابه الخاص بمجمع نيقية " اننا قد اظهرنا ان فكرنا قد سلم من اب الى اب ، اما انتم ايها اليهود الجدد وتلاميذ قيافا (الاريوسيين) فالق اى اب من الاباء تستطيعون ان تنسبوا اقوالكم ؟ فحوى الايمان اذن هو التقليد الذى ينتقل بواسطة الاباء ، كميراث من الرسل الى كل جيل جديد كما يقول غريغوريوس النيصصي في كتابه ضد افنوميوس . وفكرة الاتباع هذه كانت تردد كثيرا في المجامع المسكونية اذ كانوا يكررون القول " اننا تابعون الاباء القديسين " .

اتباع الاباء لا يكون بحفظ اقوالهم والاستشهاد بها او دراسة حياتهم وتفاصيلها فقط ، انما الاقتداء بحياتهم والسير على خطى تعاليمهم . اتباع الاباء هو القاعدة للايمان ، والركيزة التى بها نحارب الضلال والرأى الوخيم ، لاننا نلجأ الى خبرة الحياة في المسيح .

اتباع الاباء ليس تعلقا بشخصيات تاريخية او برجال عظام ينتمون الى هذا العالم ، وليس عودة الى القديم ولا تعلقا بتاريخ مجيد ، ولا تمسكا بتقليد خارجي لا قيمة له اليوم ، انما اتباع لكيفية المشاركة الانسانية في القوى الالهية .

هذا يعني ان كتاباتهم وثيقة الصلة بعصرنا ، لانها تتجاوز الماضي . صحيح ان كل اب يعبر بلغة العصر الذى عاش فيه ، الا ان عمله يبقى ذا قيمة تتجاوز عصره لانه حمل تقليد الكنيسة على نحو ديناميكي وعاش مستنيرا بالنعمة الالهية . لذلك فان اتباع تعاليمهم يقودنا الى الخلاص فهم جاهدوا بالدرجة الاولى من اجل خلاصهم وخلاص اخوتهم كما فعل سيدهم .

عصر الاباء :

هذه الصلة بالزمن الحاضر تشير الى ان عصرهم ما زال قائما ، وان وجود اباء جدد في زمننا الحاضر هو دلالة على ان الشركة بين الله والانسان ما زالت قائمة لا بل انها ستبقى حتى انتهاء الدهر .

في الغرب يوضع شرط "القدم" اساسا لادراج الانسان في مصاف الابناء ، لكن في الشرق هذا مرفوض . القديس ايرونيموس حارب فكرة القدم . اذ ان القول

بانتهاء عصر الاباء هو خطير ،لان هذا القول يجعل الكنيسة الاولى اقرب الى الحقيقة من الكنيسة المعاصرة ،وكأن كل ما هو لاحق ادنى مستوى من السابق واقل روحانية ، اي ان عصرنا هو عصر لا آبائي عصر ملئ بالشر في حين ان العصور القديمة هي العصور المسيحية الحقة .

على اساس فكرة القدم يضع الغربيون القديس يوحنا الدمشقي خاتمة الاباء ،اما نحن فنؤمن بان عصر الاباء يمتد امتداد تاريخ هذه الكنيسة لان الخبرة الروحية التي عاشوها ما زالت تعاش وستبقى معاشة الى الابد .

البيئة والاباء :

ان للبيئة دورا مهما في بلورة الافكار وصياغتها ، ولذلك كان الادب الناجح متصلا بالمناخ الذي نما فيه . بناء على هذه القاعدة سار الادب الكنسي فأتى مرآة للتيارات المتعددة للعصر الذي كتب فيه ،على الرغم من انه كان فوق الزمن والبيئة والاتجاهات الكثيرة .

اننا نستطيع ان نعدد هنا العناصر المهمة لهذه الاطر وهي :

- الدولتان الرومانية والرومية .
- اليهودية .
- الفلسفة .
- الديانات .

تعددية العالم هذا كان مشكلة كبيرة ،الا انها كانت اداة اللاهوت والادب الروحي . مشكلته هي طغيانه على الروحانية وخنقه للابعاد الخلاصية التي يتحلى بها وتزييفه لحقيقة التجسد التاريخي . لكن اذا لم يعبّر كل اب بلغة عصره سيكون غريبا عن ابنائه ،وستكون القيادة الروحية مستحيلة . من هنا كان سعي كل اب نحو معرفة اليهودية والديانات الاخرى المتعددة والهلينية وانظمة الحكم المختلفة ... بعضهم رفض هذا الفكر والبعض الاخر التزم بجماله معتبرا اياه انه ذو مصدر الهي . وحتى عند الرفض كان يؤمن انه مستقى من الناموس الموسوي . الرفض والقبول كلاهما كان ايضا نتيجة للبيئة الخارجية . فعندما يرفض احد الاباء الفلسفة اليونانية يعني ان قسما من المؤمنين يكاد يرفض ايمانه لتعلقه الشديد بها ،وعندما يقدر اهميتها وجمالها ، يعني ان البعض يرفض اهميتها واهمية استخدامها كخادمة للتعبير اللاهوتي . الشيء المشترك بين الاباء الرافضين للفلسفة وبين المقدرين اياها هو وعيهم للهوة العظيمة القائمة بين حكمة هذا الدهر وبين البشارة . لذلك يجب ،في دراستنا للاباء ،ان نفرّق بين المحتوى والشكل ،اذ ان الشكل كان منهجا مؤقتا ذا علاقة بالزمن الذي عاشوا فيه .

المدارس اللاهوتية والفلسفية :

ينتمي الاباء والكتاب المسيحيون الى كل الطبقات الاجتماعية ،بشكل لم تشهد مثله اية ديانة اخرى . اذ ان الانتماء الى هذه الديانة الجديدة كان متعلقا بالايمان فقط . وهكذا دخل المسيحية اناس مثقفون واناس غير مثقفين ،لكن التعليم كان يشمل الجميع ، ومعلم الايمان (CATECHETES) كان كثير المعرفة وكثير الخبرة الروحية كما وان عددا كبيرا من الكتاب المسيحيين كان قد تلقى العلم

في مدارس فلسفية وحقوقية .

ومنذ ان اصبحت القسطنطينية عاصمة الدولة افتتحت مدارس حكومية في ارجاء الامبراطورية . وبعد ذلك ابتداء الامبراطور بالتدخل المباشر في امور هذه المدارس الى ان وضع شرطا اساسيا لبقائها وهي ان تتحول الى مدارس مسيحية . الى جانب هذه المدارس كانت توجد مدارس لاهوتية ومدارس للتعليم المسيحي ، لنشر التعليم ولانماء التربية الدينية .

بولس . هو الذى اعطى المثل في مواظبته على التعليم في مدينة افسس لمدة سنتين " انفرد بالتلاميذ ، وكان كل يوم يعلم في مدرسة رجل اسمه تيرنس ودام ذلك مدة سنتين ، حتى ان جميع سكان آسية من يهود ويونانيين ، سمعوا كلمة الرب " (اعمال ١٩ : ٩) .

ابتداء من القرن الثاني قام الهراطقة بتأسيس مدارس خاصة بهم . لفظة هرطقة نفسها (αἵρεσις) تعني في الاصل الاختيار الحر لكن اصبحت تدل على تفضيل منهج فلسفي محدد . وبما ان كل منهج فلسفي كان يدل على مدرسة اصبحت لفظة هرطقة تدل على مدرسة معينة . لكن الهراطقة لم يكونوا الوحيدين الذين اسسوا مدارس لاهوتية ، اذ ان آباء الكنيسة اسسوا بدورهم مدارس لاهوتية متعددة لتثبيت الايمان ودحض الهرطقات .

واول مدرسة للتعليم المسيحي انشئت في روما على يد يوستينوس . ومن ثم تأسست مدارس لاهوتية متعددة في انطاكية والاسكندرية والقسطنطينية ، لعبت دورا كبيرا في نشر اللاهوت وانمائه . واستطاعت ان تحتل مكان المدارس الفلسفية التي كانت منتشرة في كل مكان .

عمل الآباء وعمل الفلاسفة :

ان الآباء اذ يسيرون على خط تقليد الكنيسة ، يصيرون حاملي الحقيقة ومترجميها لان معرفتهم مكتسبة من الاعلان الالهي الموجود في الكتاب ومن الوحي الخاص المعطى لكل واحد منهم . اما الفلاسفة فيبحثون عن الحقيقة بجهاد عنيف دون وحي الهي . ولذلك يكون لكل فيلسوف منهج خاص به وحل خاص به . وعلى اساس هذا الحل يقيم . لكن هذا الامر لا يعني ان الاب يجد حلا سهلا وجاهزا امامه ، لان اعلان الله لا يتم الا للانسان الذي يجاهد من اجل اقتنائه ، اى انه مكافأة على صراع وتعب روحي شديد .

اذن عمل الاب هو عيش الحقيقة الالهية ونقلها . لكن نقل هذه الحقيقة يتم بلغة العصر ومنطقه . اى ان واجب اللاهوتي هو الانتصار على المحيط الروحي الذى يوجد فيه واقناع الجميع بأن اللاهوت يحتضن الانسان ويعتقه من مشاكله ، باعطائه الحلول المناسبة .

الفيلسوف يفكر ويتأمل ذهنيا ، ويعقل الامور على نحو مختلف عن سابقيه ويطمح الى اعطاء جواب شخصي على معضلة الكون واحجية الوجود .

وهكذا نحصل مع كل فيلسوف كبير على تفسير جديد وانماء لسر الكون ، عن طريق منهج جديد يتحرك الانسان ضمن حدوده . فالمنهج الفلسفي الجديد هو وضع حدود جديدة ومعايير للمعرفة جديدة .

بخلاف هذا فان الاب لا يهمل كنز الكنيسة الروحي ، بل انه يحمل ويترجم اسس سابقيه . ما هو جديد في عمله هو عطاؤه الشخصي ، اي فتح طاقة جديدة على الحقيقة المعلنة والمثبتة في التقليد . الفيلسوف يبني بناء جديدا ، مستخدما ، اذا شاء ، بعض المواد من ابنية سابقيه ، في حين ان الاب يكمل تشييد البناء الموجود بافكار ممنوحة من لدن الرب ، ويتابع عمد الماضي الذي يصبح حاضرا على الدوام .

الاباء والمجامع :

عمل الاباء يتصل اتصالا وثيقا بعمل المجامع المسكونية والمحلية ، لكن هذا العمل يبقى غير واضح وغير محدد الى حد ما ، لان معظم المجامع المسكونية التأمت دون حضور عظماء الاباء والمعلمين . هذا لا يعني ان المجامع اهملت عطاء الاباء اللاهوتي . ففي المجمع المسكوني الاول لعب القديس اثناسيوس دورا مهما على الرغم من انه اشترك كشماس بطريرك الاسكندرية في هذا المجمع . واثناء انعقاد المجمع المسكوني الثاني كان باسيليوس قد توفي وغريغوريوس اللاهوتي ترك المجمع . لكن لاهوت هذا المجمع عبر عن لاهوت هذين الابين . وهذا يعني ان المجمع ليس المكان الذي يقدم حلولا للمشاكل الكبيرة ، انما هو المكان الذي فيه يميز الحل الصحيح الذي قد اعطي عن الحل الخاطئ ، وهذا يتم بارشاد الروح . كما ان اعضاء المجامع هم عادة رعاة الكنيسة واساتذتها (مثال على ذلك هو كيرلس الاسكندري الذي كان رئيس المجمع الثالث .)

لا يمكن فهم لاهوت المجامع وقراراتها خارج عطاء الاباء اللاهوتي ، الذي هيأ التربة الصالحة كي يأخذ ملء الكنيسة الموقف اللاهوتي الصحيح . بالطبع ان قبول اي موقف آبائي لا يعتمد على موافقة الكنيسة كلها او رفضها ، اذ ان قبول اي موقف لاهوتي يستند الى :

١ ـ اتفاق الموقف مع التقليد الكنسي .

٢ ـ والى انارة الروح القدس .

اذن المقياس الاخير للاهوت الاباء وللمجامع المسكونية هو الحقيقة التي يقدمونها . وكل المقاييس الاخرى هي نسبية وقابلة للنقاش .

الاباء في تاريخ الروح :

ان مكانة الاباء في تاريخ الروح الانسانية وفي الادب عامة لم تقدر كما يجب ، ولم تبرز كما ينبغي . فالاباء :

ـ هم الذين خلقوا فكر المسيحية ولاهوت الكنيسة .

ـ هم الذين يمثلون ويعبرون عن الحقيقة الروحية الجديدة التي ظهرت في تجسد الكلمة . وهم الذين اوجدوا القياس الروحي الجديد للعالم .

ـ وفي تاريخ الادب العالمي يحتلون مكانة بارزة ، اذ يعتبرون انهم اعظم كتاب واكبر رجال روحيين في عصرهم .

كيف نفهم الاباء :

ان واقع كل اب ومعلم في الكنيسة هو واقع يطرح تساؤلات عديدة ، لانه واقع

روحي لا يقترب اليه ولا يمكن اختراقه وعبوره . الاب هو المكان الضبابي الذي سيدخل اليه المؤمن بجهاد عنيف ونعمة الهية وافرة . ومع ان هذا الواقع يتعلق بالعالم الذي نعيش فيه ، فهو واقع مختلف عن الواقع العادي ، لانه يمثل القوة التي تحول مأساة الانسان الى فرح دائم . فعلاقة الاب الديناميكية بالحقيقة ، اي بالاله المثلث الاقانيم تجعل منه شخصا جذابا ومتميزا وكائنا غريبا عن واقع الخطيئة الذي نعيشه . بالقدر الذي يعي فيه المؤمن هذا الاخر اي الاب ، بهذا المقدار يولد فيه الميل نحوه ، لكن يولد فيه الخوف والرعب تجاه هذا الاخر الذي هو ضباب وظلام لا يقترب اليه .

الاب هو ايضا واقع وجودي ، لا علاقة له بالسكونية والجمود الروحي ، انما بالحيوية الناتجة عن علاقته بالله .

هذا الامر يطرح مسألة كيفية فهم الاباء اليوم ، اذ صار من المسلم به اليوم ان فهم الاباء يحدد بالمعطيات المنهجية للزمن الذي عاش فيه والاسلوب الذي كتب فيه . لكن هذا هو سطح الموضوع واطاره . المسألة هي مسألة روحية . الاسلوب والمنهج والتعبير هي امور تخضع للاهوت الاباء . ولذلك نستطيع القول ان الفهم الصحيح للوجه الادبي والتاريخي عندهم لا يكون الا بفهم الروح . الباحث اليوم لا ينظر الى كون الاباء فعلة الله وخدامه لخلاص البشر .

فهم الاباء ليس مسألة فهم بسيط ، انما مسألة مشاركة في روحه ووعي لروحانيته . فهمهم يصير مستحيلا ، اذا كان الباحث بعيدا عن ربه واستقلاليا يصبح ممكنا اذا تخلى عن هذا الاستقلال الذاتي وعن البعد عن ربه لان الاباء كلهم انكروا ذواتهم واتحدوا بالحقيقة . اذن ، في درسنا للاباء يجب ان نتغير كيانيا حتى ندخل الى روحهم ولاهوتهم . بالطبع ان الانسان يحاول ان يقترب من الحقيقة بوسائل تاريخية ولغوية ، لكن هناك عوامل روحية عديدة واساسية لايصال الانسان الى الحقيقة التي يعبر عنها الاباء ولارجاع دراسة الاباء الى خطها الصحيح الذي انحرفت عنه اليوم .

نحن والاباء (لماذا ندرس الاباء) :

ان اهمية دراسة الاباء ليست واضحة في عصرنا للسبب الاتي وهو اننا نفترض ان عطاء الاباء موجود في تقليد الكنيسة . وبالتالي فان تعليمهم وفكرهم هو تعليمنا وفكرنا . فلماذا ندرس الاباء ؟ وكيف نبرر هذا الجهد والعناء لدرسهم ؟

نحن لا ندرس الاباء لنطلع على حياتهم وتعليمهم فقط ، انما لنذوق جوهم الروحي وان نلمس آثار الروح القدس في شخصياتهم وان نضع اصبعنا على جهادهم وان نسمع نبض قلوبهم كلما توغلوا في الحقيقة ، وان نعيش خبرتهم الروحية . وان نحذو حذوهم في وضع تقنيتهم الكلية بالتقليد وان نتعلم انماء اللاهوت والتعليم ، وطريقة استخدام لغة الناس وفكرهم ليحولوهما الى لغة المسيح وفكره .

وعندما نلمس المسيرة الشخصية عند الاباء القديسين ، نقتني خبرة حضور الروح وعمله في العالم . فالروح القدس يظهر الحقيقة من خلال الاشخاص وليس من خلال الكتب السكولاستيكية . حتى يكون المرء حاملا التقليد يجب ان يذوق خبرة الاباء وجهادهم .

هناك اسباب عديدة اخرى لدراستهم منها ان الاباء يمثلون العالم الذي تلا العالم الكلاسيكي . ومعرفة هذا العالم ضرورية لمتابعة التاريخ الروحي الانساني . كتاباتهم كنز للعالم ، من حيث التاريخ والفلسفة والادب وعلم الاجتماع والمفاهيم الشعبية .. الخ كما ان معرفتهم كنز للتاريخ الكنسي والحياة الكنسية عامة .

== خصائص الادب الكنسي ==

الخصائص اللاهوتية :

لقد سعى المسيحيون الى ابراز البشارة والتعبير عن الهام الروح لهم وفقا لاحتياجاتهم . وهذا ما يسمى اليوم " بالتقديم او العرض اللاهوتي " . لفظة اللاهوت " اتخذت مع الزمن ثلاثة معاني ، لكن هذه المعاني كانت تعبر عن حقائق التعليم المسيحي الذي رتبه الاباء بمؤازرة الروح القدس الفاعل فيهم ، وهذه المعاني هي : ١) . الاهتمام بالقوى الالهية .

٢) . تأسيس منهج كامل عن الحقائق الروحية .

٣) . الوسيلة المحددة للاقتراب من الله .

الخصائص الادبية :

أ) اللغة الابائية : كانت اللغتان اليونانية واللاتينية من أكثر اللغات انتشارا في ارجاء الامبراطورية ، لكن اليونانية كانت وحدها لغة المثقفين في الشرق ، كما بقيت لغة اللاهوت في الغرب حتى ترتليان . في فلسطين نفسها كان المثقفون اليهود يجيدون هذه اللغة . الاكتشافات الاثرية الحديثة تشير الى انها كانت منتشرة في فلسطين اكثر مما كان يظن سابقا . فاليهود كانوا يملكون مجمعا هيلينيا في اورشليم . اما في انطاكية وسوريا كان الشعب ينطق بلغتين اى باليونانية والارامية . وفي مصر كانت اليونانية موجودة الى جانب اللغة القبطية . وهكذا كانت اليونانية لغة الادب الكنسي الاولى في الشرق ، لكن الاباء كتبوا ايضا باللغات القومية المحكية ، فأتى ادبهم متعدد اللغات .

ب) الانواع الادبية : عبّر الاباء عن لاهوتهم بوسائل ادبية متعددة ولذلك يجب ان نعرف الانواع الادبية المستخدمة كي نفهمهم . لان النوع الادبي لا ينفصل عن الحقيقة التي يحملها . ولقد استخدموا هذه الانواع الادبية من اجل خدمة المؤمنين وتقدمهم الروحي ، وليس تمسكا بالشكل الادبي . اذ ادخلوا المناقشات العقائدية في رسائلهم وادخلوا الارشاد في تفاسيرهم للكتاب المقدس الخ ... وبهذا تجاوزوا المظهر الادبي وحرفية النمط الكتابي .

والانواع الادبية التي استخدموها هي الاتية :

١ ـ الاناجيل : وتتألف من خمس مجموعات ادبية :

١ ـ اقوال يسوع

٢ ـ الاحداث والوقائع والقصص .

٣ ـ العرض الذي يقدمه اشخاص من محيط يسوع عن اعماله وعن شخصيته .

٤ ـ الاوصاف بعد القيامة عن يسوع .

٥ ـ البحث في كمال الانسان الروحي .

ب ـ اعمال الرسل : تتميز اعمال الرسل عن الاناجيل بأنها تحتوي على عنصر التاريخ اى تأريخ الاحداث الكنسية الشابة .

ج — الرؤيا : وان كان الخط الرؤيوى يرتبط بالنبوءة في العهد القديم فانه يختلف من حيث التعبير عن مشيئة الله بالنسبة للاخرويات . هذا الادب ظهر عندما تعرض الشعب العبراني للعبودية ، فاخذ ينشد الخلاص المستقبلي . والانجيلي يوحنا كتب الرؤيا بعدما اصاب المسيحية اضطهاد قوى . لذلك يصور بواسطة مجموعة من الرؤى والامثال والاناشيد انتصار الكنيسة كاعادة لانتصار المسيح .

د — الرسائل : لقد اصبح من كتابة الرسائل في العالم الهليني فنا ادبيا ، لذلك اتخذ منذ اللحظة الاولى مكانا مرموقا في الادب الكنسي فأصبح جزءا مهما من العهد الجديد وادب الاباء . ونستطيع ان نصنف الاشكال التي اخذتها الرسائل على النحو التالي :

— الرسائل الموجهة الى الحكام .
— رسائل التنظيم الكنسي .
— رسائل تعزية .
— رسائل تعليمية او حضّية .
— رسائل لاهوتية .
— الرسائل الاجتماعية .
— رسائل الدفاع عن المواقف الشخصية وخاصة تجاه الهرطقات .
— رسائل نصحية .

هـ — المواعظ : بعد موت فن الخطابة بسقوط الديموقراطية الاثينائية عاد الفن الى عصره الذهبي مع انتشار المسيحية ، ووصل الى قمة ازدهاره في القرنين الرابع والخامس حينما اصبحت المواعظ حيّة وواضحة ومثيرة . وبعد القرن الخامس انحط الفن الخطابي بعض الشيء لكنه ابقي الطريقة التبشيرية المثلى .

تبتغي المواعظ بناء المؤمنين روحيا ومناقبيا ، وهي من حيث المحتوى تفسير كتابي ومواعظ اعياد ومدائح للقديسين ومراثي ، وتعليم ديني عقائدي .

و — النصوص العقائدية : النصوص العقائدية بعد اسفار العهد الجديد هي دساتير الايمان التي كانت تتلى عند المعمودية ، كل كنيسة محلية كانت تملك دستورها الخاص ، لكن كل هذه الدساتير كانت ذات محتوى روحي واحد . وبعد ذلك اصبحت رسمية بعد اعلانها في المجامع .

ز — النصوص الليتورجية : العنصر الاول في الليتورجيا هو الصلاة والابتهال والثاني هو الترنيمة ، والثالث هو التعليم . الرب اعطى صلاة واحدة الا وهي الصلاة الربانية . ومن ثم وضع التلاميذ صلوات اخرى لتلاوتها اثناء اقامة القداس والاسرار . وبعد ذلك اكمل الاباء هذا العمل . في القرنين الرابع والخامس جمعت هذه الصلوات كلها ، لكن عمل التأليف لم ينته في ذلك الوقت . ولذلك خضعت الصلوات التي بين الايدي الان الى كثير من التعديلات .

ح — الاشعار : الشعر الكنسي نوعان :

— ليتورجي ، — وغير ليتورجي .

الشعر الليتورجي متعدد الانواع " رتلوا لله من صميم قلوبكم شاكرين بمزامير وتسابيح وأناشيد روحية .... " كولوسي ٣ : ١٦ .

الشعر غير الليتورجي يتبع الطريقة اليونانية في النظم .

الشعر الليتورجي هو صلاتي ، اما الثاني فتأملي .

ط — التنظيمات الكنسية : بما ان الحاجة اصبحت ماسة لتنظيم حياة الكنيسة والعبادة فقد ظهرت مجموعات كثيرة بهذا الشأن . في البداية كانت تضم التنظيم والتعليم التشريعي والليتورجي والاخلاقي ، لكنها فيما بعد اخذت شكل القانون .

ي ـ الادب التفسيري : كل الادب المسيحي هو من حيث المبدأ ادب تفسيري اى تفسير حضور المسيح الى العالم . لكن هذا الادب اصبح فيما بعد محصورا بشرح الكتاب متخذا ثلاثة اتجاهات :

١ ـ التفسير التاريخي . ٢ ـ تفسير رموز الكتاب . ٣ ـ التفسير التأويلي والاستعاري .

ك ـ التأريخ : انقطع تأريخ الاحداث الكنسية كما في اعمال الرسل بسبب الاضطهادات ، لكن بعد تنصير الامبراطورية اصبحت الحاجة ملحّة لكتابة التاريخ فدوّن افسافيوس القيصري تاريخه المهم ، ووصل التأريخ الى اوجه في القرنين الـ ٥ و ٦ ، ومن ثم اكمل مسيرته ولكن ليس على المستوى ذاته .

هناك نوع مهم من التأريخ وهو تدوين سير الشهداء وسير القديسين والرهبان .

ل ـ الابحاث اللاهوتية : استخدم الاباء هذا المنحى الادبي للتعبير عن لاهوتهم وخبرتهم . واشكال هذه الابحاث هي :

ـ العرض المتسلسل للافكار . ـ الاجابة على الاسئلة . ـ الدحض .

ـ البحوث المرتبة وفق الاصول .

اما من حيث المحتوى والهدف فانها ترتب كالتالي :

١) ـ الابحاث الدفاعية . ٢) ـ الابحاث ضد الهراطقة . ٣) الابحاث العقائدية . ٤) ـ الابحاث الاخلاقية . ٥) ـ . . الرعائية ٦) . . التعليمية ٧) . . التسكية ٨) . . الروحية ٩) . . التفسيرية ١٠) . . الليتورجية ١١) . . السير الذاتية ١٢) الابحاث الموسوعية .

تاريخ علم الاباء : ولد علم الاباء في الشرق حيث عاش اكثرهم . اول عالم آبائي هو افسافيوس القيصري كاتب " تاريخ الكنيسة " . تلاه ايرونيموس الذي الّف كتابا بعنوان " الرجال البارزين " . وبعد هؤلاء اتى عدد كبير من العلماء امثال جناديوس وفوتيوس .

نشر النصوص الابائية وترجمتها :

منذ بداية القرن السابع عشر ابتدأ الباحثون بالاهتمام الفعلي بالنصوص الابائية . ومما ساعد الباحثين هو اختراع الطباعة ، فنشروا الكثير من مؤلفاتهم . والجامعات ألّفت فروعا خاصة لدراسة ادبهم . فظهرت مجموعات عديدة من مؤلفاتهم وترجمات لها الى لغات عالمية ، وظهرت ايضا دراسات عديدة عن شخصياتهم ومصنفاتهم . وهذا الاهتمام يتزايد يوما بعد يوم ، لان ضياءهم ما زال وضاء .

الفترة الزمنية التي تلت عصر الرسل كانت مهمة ، من حيث الوضع الكنسي ، لان الاتصال بين الكنائس المحلية كان وثيقا ، على الرغم من استقلالية كل منها . وكانت حياة المسيحيين قائمة على الاسرار ، وعلى الاخص سرّي المعمودية والشكر ، وكان الاسقف قائد الجماعة والموجه الروحي لها . المشاكل الكنسية جعلت الاتصال يقوى ويشتد . وهذا الاتصال ترك لنا ادبا روحيا مهما ، ادبا رعائيا ونصحيا ، وتوبيخيا ، ورؤيويا (الراعي هرماس) . هذا الادب كان يقرأ في صلاة الجماعة الى جانب الكتاب

المقدس .

كتّاب هذا الادب هم من آباء القرن الثاني ، الذين تلقوا البشارة من الرسل انفسهم ، وحفظوا تعليمهم واكملوا عملهم . ولذلك يصفهم البعض بأنهم جسر الروح الانجيلية . لقد حذوا حذو العهد الجديد في بساطة التعبير ، وفي عدم منهجية الاسلوب ، وفي شموليته .

اقليمس اسقف روما : المعلومات الاكيدة عن هذا الاسقف قليلة جدا ، لان اكثر المعلومات عنه مستقاة من الكتب الابوكريفية . جلّ ما نعرفه عنه انه خلف بطرس في كرسي روما ، وان الكنيسة تعيد له في ٢٣ تشرين الثاني . ومن رسالته الى اهل كورنثوس نعرف انه كان ذا شخصية قوية ، ورجلا وديعا وهادئا ، وكاتبا موهوبا ولاهوتيا عظيما حاملا التقليد الرسولي وكان يعرف العهدين القديم والجديد معرفة جيدة ، ويفهم بكل محبة وضع الكنائس المحلية ، كما كان يعرف الفلسفة الرواقية .

رسالته الى كنيسة كورنثوس كتب اقليمس هذه الرسالة لحسم النزاع الذي دار في هذه الكنيسة ، بسبب مقامة السلطة الروحية فيها ومحاولة خلع بعض الكهنة ، في هذه الرسالة يعبّر بألم عن موقف أولئك المناهضين الذين اعتقدوا ان منصب الكهنة يتعلق بأعضاء الكنيسة فقط . لذلك دعاهم الى تقديم الطاعة لهم ، لان الكهنة تسلموا السلطة من الرسل ، ولانهم يقومون بالخدمة بكل قداسة .

تقسم هذه الرسالة الى (مقدمة وجزئين وخلاصة) .

— المقدمة تتحدث عن ازدهار الكنيسة في كورنثوس وعن حسد بعض الشباب .

— الجزء الاول يحث الشباب على التوبة وعلى المحبة والتآلف الذي يشبه تآلف الخليقة . نرى في هذا الجزء اسلوبه الرواقي حول انسجام النظام الكوني .

— الجزء الثاني يبحث في الخلاف الناشب في كورنثوس ، ويشدد على الطاعة ، موردا امثلة عديدة من العهد القديم .

— وينتهي الى الدعوة الى المحبة ، راجيا ان يعود الذين حملوا رسالته بشائر السلام .

ان احترام هذه الرسالة كان كبيرا لدرجة انها ادرجت زمنا قصيرا في قانون العهد الجديد .

ان تدخل اقليمس اسقف روما في حل النزاع لا يدل ابدا على سلطة روما وتفوقها على سائر الكنائس . ما حدث هو ان كنيسة كورنثوس وقعت في ازمة كبيرة ، فتحرك رجل مقطوع يحمل ضميرا كنسيا صحيحا لحل هذه المشكلة . ضميره الحي اعطاه حق التدخل ، قد يحدث هذا الامر مع اي اسقف يشعر بالمسؤلية تجاه كنيسة شقيقة تعاني من مشكلة حادة .

تعليم الرسل :

وجد المتروبوليت فيلوثيوس فريانيوس ، في عام ١٨٨٣ ، مخطوطة بعنوان — تعليم الرسل الاثني عشر — . وبعد ان نشرها خلقت حماسا كبيرا ، لانها القت ضوءا قويا على حياة الكنيسة الاولى . اننا لا نعرف كاتب هذه المخطوطة ، ولا زمن كتابتها بالتحديد ، ولكن يرجح انها كتبت في اواخر القرن الاول الميلادي ، في سوريا . ومن حيث مضمونها ، نستطيع ان نصفها بانها كانت مرجعا عمليا مقتبسا للمسيحيين والموعوظين .

ان هذه المخطوطة ينقسم الى قسمين :

القسم الاول : اخلاقي يتكلم على طريقين : طريق الحياة وطريق الموت (هذا التعليم كان شائعا في الاوساط اليونانية واليهودية) .

القسم الثاني : طقسي ، يتكلم على انظمة المعمودية والعبادة والصوم وسر الشكر . فيه معلومات مهمة عن طريقة المعمودية التي كانت تجري باسم الآب والابن والروح القدس ، وبمياه جارية ، وعن واجب الصوم قبل المعمودية وعن سر الشكر الذي لا يعطى الا للذين تعمدوا باسم الرب . كما يزودنا بارشادات عن كيفية تمييز الانبياء الحقيقيين عن الانبياء الكذبة .

الفصل الاخير يتحدث عن الآخرة التي اصبحت قريبة .

لا شك ، ان الكاتب جمع هذين القسمين واضاف اليهما الامور التي كان يظنها انها حسنة لمواجهة مشاكل عصره ، اهمية هذه المخطوطة هي في الجزء الثاني حيث يشير الكاتب الى ان الانبياء الكذبة كانوا يزعجون الكنيسة التي كانت بحاجة الى مقياس صحيح لتمييز الانبياء الحقيقيين عن الكذبة .

هناك تعليم مهم موجود في الفصل ١٥ عن اختيار الكهنة ، لان الكنيسة كانت تتردد في الاعتراف بان الخدام الجدد هم مساوون للرسل . ففي هذه الفترة كانت الكنيسة تمر من مرحلة الرسل الى مرحلة الرعاة الدائمين ، الامر الذي دفع البعض الى عدم تكريم الرعاة الدائمين مثلما كان يكرم الرسل وذوو المواهب الروحية . لذلك قال الكاتب " لا تحتقروهم لانهم رجال مكرمون مع الانبياء والمعلمين " .

(الفصل التاسع مهم من حيث النظم الليتورجي ، لان الكنيسة بدأت تنتقل في صلواتها من الصلاة الصامتة الى الاناشيد المنظومة) .

رسالة برنابا :

في الواقع ان هذا النص ليس رسالة ، انما عمل لاهوتي توجيهي يبحث في تحديد المعرفة الكاملة . وهو يعبر عن الجو المناهض لليهودية الذي

خلق في الكنيسة الاولى ، بسبب تمسك المسيحيين الذين من اصل يهودي بفرائض العهد القديم وشكله . كاتب هذا النص تطرق في مقاومة هذه النزعة ، فذكر قيمة العهد القديم واهميته . بتطرقه هذا لم يعبر الكاتب عن تقليد الكنيسة الصحيح ، لا بل انه السابق لمارقيون الذي لم يعتبر ان اله العهد القديم هو اله العهد الجديد . الى جانب هذا هناك الوجه السرياني (الخصوصي) الموجود في النص.

يقسم النص الى قسمين : القسم الاول من ١ — ١٧

القسم الثاني من ١٨ — ٢١.

في القسم الاول يبحث الكاتب معنى العهد القديم . فبالنسبة اليه ، الناموس الليتورجي هو رمزيا وليس حرفيا . الله يمقت ، عنده ، لم يأمر بختانة الجسد ، بل العقل والقلب ، لم يحرم الخنازير ، بل نهى عن مرافقة الرجال الذين يشبهون الخنازير . والرجال الـ ٣١٨ الذين ختنهم ابراهيم يرمزون الى موت المخلص على الصليب (الرقم ٣٠٠ يشار اليه بالحرف T " الصليب" والعدد ١٨ يرمز اليه بحرفي I H وهما اول حرفين من اسم يسوع) .

واليهود ، في رأيه ، لم يفهموا معنى الوصايا ، لانهم طبقوها حرفيا . وتصرفوا كالوثنيين ، عندما حسبوا الرب في الهيكل كالصنم . ولذلك فان الهيكل سيهدم (١٦ : ٢) .

واعتبر ايضا ان ٦ ايام الخلق توازي ٦٠٠٠ آلاف سنة ، فيها يقود الله كل شيء الى تمامه ، اي انه سيدين الاشرار بعد انقضاء هذه المدة (١٥ : ١ — ٦) .

القسم الثاني يحتوي على التعليم حول الطريقين (طريق النور وطريق الظلمة) الوارد في تعليم الرسل الاثني عشر . ولكن كاتب هذا النص وكاتب تعليم الرسل استقيا هذا التعليم من المصدر ذاته . البعض يعتبر ان القسم الثاني هو اضافة متأخرة .

كاتب هذا النص ليس الرسول برنابا ، لان تعاليم القسم الاول — كما قلنا — هي مخالفة لتعاليم الرسل ، ولان ايرونيموس اعتبره من النصوص الابوكريفية .

××××××××××××××××××××××××

اغناطيوس الانطاكـــي :

هو اول اب ومعلم للكنيســة ، واول لاهوتي بعد الرســل • بوجوده سـارت الكنيسـة نحو ترسـيخ مسـيرتها اللاهوتية ، ونحو مواجهة المشـاكل لاهوتيا • وبهذا دشـن الطريق الذى سـتسـير عليه الكنيسـة • في شـخصيته تجاوزت الكنيسة مرحلة اللاهوت الاخلاقي البسـيط ، واظهرت ان اللاهوت المسـيحي يسـتطيع ان يسـتخدم لغة العالم الروحي المعاصر (العالم اليهودى ، والعالم الغنوصي ، والعالم اليوناني) ، دون ان يتأثر به • فانتصر على كل هذه التيارات وخلق فكرا كنسـيا اصيلا •

اغناطيوس هو الاسـقف الثاني على انطاكية ، ويرجح انه اعتلى سـدة الاسقفية في سـنة ٧٠ ميلادية ، اذ ان معرفته للرسـل اكيدة • التاريخ يشـير اليه بشـكل خاطف ، اى انه لا يزودنا بمعلومات كافية عن حياته واعماله • رسـائله الباقية لا تشـير الى ثقافته الحسـنة فحسـب ، بل الى موهبته الكتابية الفذة • ومنها نعرف ان شـهرته تجاوزت انطاكية وسـوريا ، وانه اسـقف ذو سـلطة مسـكونية •

في عهد ترالیان حكم عليه بالموت ، فاقتيد من انطاكية الى روما عبر آسـيا الصغرى واليونان ، حيث قضى بين انياب الوحوش • وفي انتقاله الى روما ، اقتضت ظروف السـفر ان يبقى في عدة مدن حيث لقي المؤمنين فيها •

رســائله : اثناء اقامته في ازمير دوّن ثلاث رسـائل الى كنائس افسـس ومغنيسـية وترالیـس والى روما (راجيا المؤمنين فيها الا يحاولوا انقاذه من الاسـتشهاد • ومن طروادة كتب ثلاث رسـائل الى ازمير وفيلادلفيا ، والى اسـقف ازمير مشـددا على ضرورة الوحدة حول الاسـقف ، وعلى التخلص من الهرطقات) •

لقد حذا حذو الاسـلوب اليوناني في كتابة الرسـائل ، فكان يبدأ بكلمة " افرحوا " ويختم بكلمة " تشـددوا " • وبين هاتين الكلمتين يلخص التعليم المسـيحي كله •

هذه الرسـائل هي حلية من حلى الادب الكنسـي وتحفة فنية رائعة تضج بالمحبة والشـوق العاصف نحو المسـيح •

لاهـوتـه : عطاء اغناطيوس اللاهوتي الاصيل يحمل فكر الكنيسـة وتقليدها فهو تكملة للتعليم الرسـولي وامتداد له • اى انه دعوة الى سـعي الانسـان نحـو اقتناء الحياة الحقيقية • لكن هذه الحياة الحقيقية لا نحصل عليها الا في الوحـدة •

وللوحدة عدة اوجـه :

١) ـ الوحدة في دائرة الله : قال اغناطيوس بوجود اله واحد ، اظهر

نفسه باقنومه الثاني . وهذا الاله حي وشخصي ، يبذل الذات محبة بالعالم .

اهتم اغناطيوس في رسائله بابراز هذا البذل وسكب النفس من اجل العالم ، دون الاهتمام الكبير بوصف جوهره وخصائصه الاقنومية . المؤمنون ، عنده ، هم من صنع الله ولذلك عليهم ان يسيروا نحو العلاء ، واضعين نصب اعينهم هذا الاله قائدا لهم . ولكي يدافع عن الوحدة الحقيقية ، واتحاد الله بالانسان حارب في رسائله هرطقتين وهما : ـ هرطقة المتهودين .

ـ " الدوكيتين .

المتهودون اعتبروا المسيح انسانا ونبيا كباقي الانبياء .

الدوكيتيون (المشبهة) آمنوا بان المسيح اله ، لكنهم انكروا حقيقة التجسد ، [illegible] وهؤلاء اتوا من العرفانية وظنوا ان الانسان عبد لشر المادة والشيطان ، ولذلك يحتاج الى مساعدة خارجية ، هذه المساعدة قدمها الاله الذي حمل جسدا ظاهريا فقط .

في دحضه لهاتين الهرطقتين شدد اغناطيوس على الوهة المسيح وعلى ان الاله غير المنظور اصبح منظورا ، اذ جامعا في ذاته بين اللاهوت والناسوت . " انه الطبيب الجسدي ... الذي ولد من العذراء ومن الله قابلا الالام مع انه غير متألم " . عمل التجسد اذن هو ان يهب الحياة الجديدة للناس ، اي ان الناس يخلصون بالاتحاد برئيس الكهنة بواسطة الحياة والموت . نتيجة التجسد هي الحياة الابدية وعدم الفساد ، والانتصار على الموت والشيطان .

٢) الوحدة في الكنيسة : بالتجسد اسس الله الكنيسة التي هي اناء الحياة الجديدة ومستودع نعمة الله . فحيث المسيح هناك الكنيسة الجامعة . ان وحدة الكنيسة شرط ضروري لعلاقة صحيحة بين الله والمؤمنين . كل كنيسة محلية مساوية لكل كنيسة اخرى ، ومجموع هذه الكنائس يؤلف الكنيسة الجامعة . (محطموا هذه الوحدة هم الهراطقة " في حين ان المحافظين عليها هم الاكليريكيون الذين سلمت اليهم وديعة الايمان والذين يكملون عمل السيد . الاسقف هو رمز وحدة الكنيسة ، وعلامة اتحاد الانسان بالله ، عدم وجود الرباط مع الاسقف دليل على عدم وجود الكنيسة الجامعة . (اول من استعمل هذا التعبير) . لذا فان الخضوع له هو صورة عن خضوعنا لله وللمسيح ولبعضنا البعض . في كتاباته نجد تمييزا بين الاسقف والكاهن والشماس اذ لا يذكر ابدا ان الكهنة هم ايقونة المسيح ، في حين انه يلح على ان الاسقف هو ايقونة المسيح . دائما يذكر الكهنة في صيغة الجمع في مكان الرسل .

الكنيسة ليست واحدة اذا لم تؤسس على الافخاريستيا الواحدة التي هي من مهمة الاسقف" لا يفعلن احد منكم شيئا يتعلق بالكنيسة دون ارادة الاسقف. سر الشكر هو السر الذي يتممه الاسقف او من اوكل اليه ذلك" .

اذن ان وحدة المسيحيين مكانيا تبرز في شخص الاسقف ومهمته وبكونه مركزا للحياة الليتورجية " . قال هذا لان البعض شككوا في قبول فرادة الاسقف في كل مكان ، وحاولوا خلق جماعات ذات ـ ليتورجية خاصة . واجه اغناطيوس المشكلة رابطا بين سر الشكر والاسقف.

٣) ـ الوحدة بين الله والانسان : تتحقق هذه الوحدة ايضا في ملاقاة الانسان لربه ، وهذه الملاقاة تفترض انطلاقا انسانيا حرا . ان ملكوت الله يغتصب اغتصابا ، لكن حرية الانسان لا تغتصب. لذلك يجب على الانسان بمل" حريته ان يمد يده ليأخذ الهدية من الرب. وهذا الامر عسر وسهل بآن واحد .

انه يعسر على الانسان أن يحصل على الخلاص ، اذ يجب عليه ان يدحر الشيطان ويجاهد من اجل اقتناء المحبة اللاانانية لله وللقريب من خلال جسد المسيح . ويسهل عليه الامر لان الله برر الانسان بتدمير الموت وبايثاق (ربط) معتقل الانسان الذي هو ابليس . المسيحي هـ (رياضي في ستاد الحياة الحاضرة ، فاذا ما اكمل الشوط نال اكليل الحياة الابدية ، على المؤمن ان يصبح تلميذ المسيح ، كي يقتني نعمه وينتصر على الموت والفساد .

والعنصر الاساسي للتلمذة هو الاقتداء بالام الرب يسوع ونكران العالم هذا النكران يبدأ بالتخلي عن الفكر الارضي ويبلغ القمة في اشتهاء الاستشهاد .

في رسائله ، (وعلى الاخص في رسالته الى اهل رومية) يصف اغناطيوس شوقه العظيم نحو الاستشهاد ، غير جازع من النار والصلب . لان من يخاف الموت لا يستطيع ان يعيش حسب المسيح يسوع" اذا لم نسرع لنموت في آلامه ، فحياته لن تكون فينا " . " صلّوا من اجلي كي انجح ... اذا تألمت تكونون قد غمرتموني بعطفكم ، اما اذا اقصيت عن الالام فانكم قد ابغضتموني " . ان هذا الحب الجارف للاتحاد بالرب جعل من اغناطيوس حامل الاله .

ان لقاء الانسان بالرب يكسبه شخصية جديدة وخبرة جديدة ، ويضيء له الروح اسرارا الهية كانت مغلقة عليه . لاهوت اغناطيوس هو من هذا النوع ، اي قد تم باعلان الروح كما يذكر هو . لكن هذه الشخصية الجديدة ستكتمل في الحياة المستقبلة بالاتحاد الكلي بالله .

****

٢) ـ وحدة الكنيسة وفراداتها : بما ان وحدة الكنيسة قد شغلت اغناطيوس الانطاكي ، فان لاهوت كبريانوس اتى امتدادا له . ولذلك قال ان الرب اسس كنيسة واحدة واسقفية واحدة . فهناك كنيسة واحدة رغم تعدد الكنائس . والكنيسة المحلية هي الشعب المتحد بالمسيح وباسقفه والمتفق ايمانيا من الكنائس الاخرى

لكن هذا الوفاق هو دليل خارجي للوحدة . الكنيسة هي عروس المسيح ومن انفصل عنها التصق بزانية وهي فلك نوح الذى لا يخلص من يبقى خارجه .

موقفه من التساوي بين الكنائس في الشرف والسلطة قبل ، اما موقف بابا رومية فقد رفض .

لان بطرس كما قال كبريانوس الذى اصطفاه السيد اولا وعليه بنى كنيسته لم يدّع بمعجزة وخطوة اى حق لنفسه او اية سلطة توجب الطاعة له عندما اختلف مع بولس في امر الختان .

٣) ـ وكما اشرنا في كتاباته لم يرض بمعمودية الهراطقة . واصّر على تعميد الاطفال في سن مبكرة . واشاد بمعمودية الدم .

بوليكربوس (أسقف ازمير) :

شخصية كنسية كبيرة في آسيا الصغرى ، برزت في النصف الاول من القرن الثاني . عرف الرسل وتتلمذ على يدهم ، وهم الذين اقاموه اسقفا .

اهميته اذن تقع في انه يحمل التقليد الرسولي الصحيح . كما ان معرفته الشخصية لاغناطيوس الانطاكي لعبت دورا مهما في مسيرته الروحية ، اذ انه استضافه اثناء مروره بآسيا الصغرى واستلم منه رسالة فيما بعد . ايرونيموس يصف " كقائد لآسيا كلها " ، والامميون قالوا " انه معلم آسيا واب للمسيحيين " .

هذا الاكرام الكبير لا يجعل منه كاتبا كنسيا بارزا .

نعرف ٣ احداث مهمة عن حياته .

١) ـ شجبه لمرقيون ونعته بانه أول مواليد الشيطان (بكر الشيطان) .

٢) ـ تدخله في الخلاف الناشب حول موعد تعييد الفصح (روما كانت تعيد نهار الاحد . وآسيا الصغرى كانت تعيد في ١٤ نيسان مهما كان اليوم الذي يقع فيه) .

٣) ـ استشهاده البطولي الذي كان نتيجة لوقوفه ضد امرجحود المسيح .

رسالته الى اهل فيليبي المتبقية عندنا ، ما هي الا للاجابة على طلبهم ببعث رسائل اغناطيوس لهم . هذه الرسالة نصحية وعملية ، لكنها تدعو الى الابتعاد عن الشر ومقاومة الهراطقة الذين انكروا التجسد الحقيقي انها تدافع عن عقيدة التجسد الالهي وعن موت المسيح على الصليب ضد التعاليم الكاذبة " كل روح لا يعترف ان يسوع المسيح قد جاء بالجسد هو كاذب ومقاوم للمسيح " ، وفي مكان آخر يقول " من يحرف كلام الله وفقا لرغباته ويقول بعدم وجود القيامة والدينونة هو من ابليس " .

من حيث توجيهاته يحث المؤمنين على طاعة الشيوخ والاساقف . ويطلب من الشيوخ ان يكونوا شفوقين رحومين ، وان يعيدوا الضالين ويزوروا المرضى ، ولا ينسوا الارامل والفقراء والايتام .

الاحسان عنده واجب على المسيحيين ، لانه يخلص من الموت .

استشهاد بوليكربوس (سيرة استشهاده) :

هذه السيرة هي رسالة موجهة من كنيسة ازمير الى كنيسة فريجية (فيلوميلو) والى كل الكنائس التي من الكنيسة الجامعة . ولقد اكتسبت اهمية كبيرة في حياة الكنيسة ، اذ اصبحت اساس سير الاستشهاد وقاعدة لتكريم

الشهداء . فالمؤلف يقدم لنا ، باسلوبه البارع ، لاهوت الاستشهاد ، ويظهر اهمية صوت النعمة الالهية في اقدام الشهيد وشجاعته ، وكيف يجب ان يكون الاستشهاد الذى يحسب الانجيل .

الاستشهاد ، عنده ، اقتداء بالرب ، وقهر لاختراع الشيطان ، لكن ينبغي على المرء الا يسعى الى الاستشهاد والا يطلبه . عذاب ساعة واحدة يفتح للشهيد ابواب الفردوس ويجعله مشاطرا مصير المسيح . فمن يسير نحو الاستشهاد صابرا مكتفيا بالقول " لتكن ارادة الرب " ، يرى الملائكة ، ويسمع حسيا صوت الرب

بوليكربوس عاين رؤية قبل ثلاثة ايام ، اثناء اقامته الصلاة ، فرأى ان وسادته تحترق فقام الى رفقائه وقال لهم " سأحرق حيا " . اى انه سبق فرأى استشهاده ، لذلك تسلح بالايمان وبالنعمة الالهية .

ان منفعة الاستشهاد لا تقتصر على الشهيد ، بل تمتد الى المؤمنين وحتى الى الامميين . اذ عند المحاكمة يكون اعترافه كرازة وبشارة ومثالا وقدوة .

عندما حصل بوليكربوس على اكليل الشهادة حصلت معجزة رآها البعض .

ان لرفات القديسين اهمية تقديسية ، ولذلك اسرع المؤمنون لكي يتقاسموا بقاياه المقدسة . المؤمن يكرم رفات القديس معتبرا اياه انه قد اقتدى بالرب . تقول السيرة " اننا نكرم الشهداء كتلامذة للمسيح ومتشبهين به ، نحن نحبهم ، لانهم يحبون المسيح ، ولهذا استحقوا محبتنا .

ايمكننا نحن ان نصير رفقاء وتلامذه له ؟ " .

الكنيسة تبني المائدة على رفات القديسين ، وتجتمع حولها بفرح كبير .

موت الشهيد هو " يوم ميلاده " في الملكوت ، موته تتويج لحياته . يقول النص " بعد ان تمكنا من ان نخرج عظام بوليكربوس (من النار) التي فاقت قيمتها قيمة اللآلىء وكانت اشرف من الذهب النقي المختبر في البوتقة . ونضعها في مكان لائق . وكنا نجتمع والفرح يملأنا والسرور يغمر قلوبنا وقد كان يوم استشهاده كيوم ميلاده ، وتذكارا لأولئك الذين جاهدوا قبلا والذين يستعدون ويتهيأون لمثل هذا اليوم العظيم " .

هرماس الراعي

المؤلف : يسمي الكاتب نفسه هرماس . لكن معلوماتنا الموجودة في مصادر اخرى قليلة .

فقانون موراتوري يقول انه اخ لاسقف روما بيوس ، اما المعلومات الموجودة في النص فتقول انه كان عبدا لامرأة اسمها (رودى) . هذه الامرأة احترمته جدا واحبته ولهذا حررته من العبودية . بعد ان تحرر تعاطى التجارة فأثرى وتزوج وانجب اولادا . لكنه افتقر في زمن الاضطهاد فانحصر عمله في ارض صغيرة . بسبب هذا الفقر اخذ يتألم لخطاياه وخطايا اولاده الذين كانوا قد انغمسوا في المعاصي . فدعا الخطأة ولا سيما افراد عائلته ، الى التوبة .

هرماس هو نبي التوبة والعودة الى طهارة القلب ، والعفة ، وحسن السيرة .

المؤلف ، اذن ، يهمه الاخلاق والمناقبية ، يهمه توجيه الناس ورعايتهم . انه ليس لاهوتيا كبيرا ، بل كاتب واسع الخيال ، كثير الترداد ، مسرحي يكتب باسلوب صعب وغريب احيانا . لكنه جذاب ومشوق ، يحاول ان يكتشف اعماق ذاته ، فيغوص في حديثه الى اعماق النفس البشرية .

التوبة ، عنده ، لا تستند الى الاسرار . وهذا دليل على ان الكاتب ينتمي الى تلك الفئة التي كانت تتأرجح بين التقليد الرسولي واليهودية . فالكنيسة في اول عهدها ، عانت من الخلط بين اليهودية والمسيحية ، هرماس هو تعبير صحيح عن هذا الخلط والتشويش .

الكتاب : انه عظة في التوبة ـ ومن حيث الاسلوب فهو ينتمي الى الادب الرؤيوى المسيحي اليهودي اما من [illegible] الرؤى .

اما من حيث المضمون فهو يختلف عن هذا الادب ـ لأنه ملئ بالتفاؤل ولعل الكاتب جاء بدعوته كاعلان من الله ، لكي يكون كلامه مقنعا . في كل حال ان اسلوبه مثير للدهشة والغرابة .

يتألف الكتاب من ـ ٥ رؤى .

ـ ١٢ وصية ،

ـ ١٠ امثال .

الرؤى الاربع الاولى تحل عليه بواسطة امرأة مسنّة تمثل الكنيسة . وهذه الامرأة تتخلى تدريجيا عن شيخوختها لتظهر اخيرا عروسا للمسيح .

الرؤية الخامسة تحل عليه بواسطة راع يلبس جلدا ابيضا ويحمل فوق كتفيه جرابا وفي يده عصا . وهذا الراعي الذى هو ملاك التوبة يأمره بكتابة الوصايا والامثال .

الكنيسة تظهر بشكل امرأة مسنة ليوضح ان الكنيسة قديمة الايام ، موجودة قبل العالم لا بل ان العالم خلق من اجلها . وفي الرؤية الرابعة تظهر ايضا بشكل برج لا يزال في طور البناء . البناؤون يرفضون كل حجر غير صالح للبناء (اى الخطأة) . طور البناء يشير الى ان الكنيسة ما زالت في عالم الجهاد ، وكل من ينتصر يصبح حجرا حيا في حائطها ويندمج مع الاخر كليا .

ان المرأة المسنة ترى هرماس ايضا تنينا مرعبا يرمز الى الاخطار والاضطهادات لكن في النهاية تظهر الكنيسة في هيئة عروس جميلة كما اشرنا .

الوصايا المعطاة هي اخلاقية ، اى انها تدعو الى الايمان وخوف الله ، واستئصال الشر من القلب والابتعاد عن (الذ يسيخا) ازدواجية النفس .

وهذا التعليم يشبه التعليم عن الطريقين طريق الحياة وطريق الموت لذلك يدعو المرء الى اختيار طريق الحياة .

الامثال اخلاقية كذلك .

الغنى عند هرماس هو عائق امام الكمال الاخلاقي ، فالله يهب الغنى ليمتحن الناس كمدبرين للآخرين . والتوبة عنده ، لا تتكرر . والزوج عليه ان يترك زوجته اذا زنت ، والافضل الا يتزوج غيرها . لكن اذا اصطلحت عليه ان يقبلها .

****

الى المسيحية ، وكذلك تسرب اليهودية والهلينية والمفاهيم الكونية الى حياة الكنيسة •

اهمية عظاته ايضا تقع في معرفتنا للعادات والتساؤلات والاحلام والمخاوف عند المسيحيين الاولين ، لان لهذا الادب منطلقا شعبيا ، ولانه استمر قرونا عديدة ، لا بل انه ما زال ادبا مستمرا حتى اليوم ، ولعله سيبقى حيا ، ما دامت المخيلة الانسانية ناشطة ، ومبتكرة لكل ما هو جذاب على الصعيد الشعبي •

ففي هذا الادب يسيطر العمل الاسطوري والخرافة الدينية ويبرز مثال حياة بعض المؤمنين ذوي الثقافة الضحلة ويزودنا بامثلة حقيقية عن طبيعة التجسد اللاحقيقي وعن استحالة الاتحاد بين الله والانسان •

****

بـابيـاس

شـخصية مهمة تـستحق الانتباه ، وتدعو الى التسـاؤل والبحث اكثـر في تقصي الحقائق عنه . فمعرفتنا به قليلة ، كل ما نعرفه هو انه اصبح اسـقفا علـى هيرابوليـس Ἱεράπολις الواقعة في فريجية من اعمال آسـيا الصغرى . وبما ان فريجية قريبة من افسـس ، فانه لا بد وانه عرف يوحنا الحبيب وسـمع بشارته ، وهذا ما يرد عند ايرونيموس . لكن افسـافيوس المؤرخ يخالف هذا الرأى ، مشـيرا الى انه لم يسـمع الرسـل ، ولم يكن شـاهد عيان لهم . اذ تلقى تعليمه من تلامذة الرسل ان زعم أفسـافيوس هذا هو نتيجة لعدم احترامه لباپياس.

مصنفـه : وضع باپياس مصنفـا بعنوان " تفاسـير اقوال الآحاد " ، لم يبق منه سـوى بعض المقاطع . فقدان القسـم الكبير من هذا المصنف هو خسـارة كبيرة لنا ، لان باپياس دون كل ما جمعه من التقاليد الشـفوية وفي تدوينه للتقليـد الشـفوي يقدم لنا مادة غنية واحداثا جرت مع يسـوع واقوالا له غير مدونة في الاناجيل ويصف لنا كيفية كتابة الاناجيل . اننا نسـتطيع ان نلخص ما يقدمه لنا كما يلي :

١) ـ احداث من حياة المخلص واقواله وامثاله .

٢) ـ افعال الرسـل واقوالهم .

٣) ـ تفاسـير بعض مقاطع العهد القديم .

٤) ـ اوصاف ميثولوجية عن الآخرة ، تلمح الى انه كان يؤمن بالالفيـة .

على الرغم من ان باپياس تأثر بالتقليد اليهودي المسـيحي المنتشـر في فريجيا ، فانه اول كاتب كنسـي حاول ان ينبـش كنز التقليد الشـفوى . اذ كان يسـعى الى الاجتماع بتلاميذ الرسـل ليحصل منهم على هذه المعلومات .

****

العـــرفـــانيـــة المســـيحية

العرفانية هي من اكبر الحركات الروحية في العالم ،واكثرها شـوقا وميلا نحو تجاوز العالم الحاضر • صاغت منهجا معقدا ،لكي تجيب على اهم مسـائل حياة الانسـان • مـن نكون ؟ كيف وجدنا ؟ اين كنا ؟ الى اين نذهب ؟ ما هو الخلاص؟ وكيف نحصل عليه ؟

اجابة على هذه الاسـئلة حاول العرفانيون دمج المناهج الفكرية المتعددة ، التي كانت موجـودة في ذلك العصر • وبذلك كانت حركة توفيقية او تلفيقية تؤلف بين الافكار المختلفة ،اى بين الفلسـفة اليونانية والديانات الشـرقية التي تضم مفاهيم كونية ،وخبرات دينية عميقة •اهم مصادرها هي :ـ الفلسـفة اليونانية

ـ الديانات والفلسـفات الشـرقية •

ـ اليهودية •

ـ المسـيحية •

الشـرق قدم لهذه الحركة الشـوق الالهي ، والايمان بالثنائية التي تميز الاله الصالح عن الاله الشرير • والعالم السـماوى عن العالم الارضي ،والجسـد عن الروح • والفلسـفة اعطت المنهج العلمي والايمان بعالم المثل وربط الله بالعالـم بواسـطة كائنات مثالية ،تسـمى دهورا •

هذه الحركة الدينية ـ الفلسـفية وضعت المعرفة اسـاسـا لها •

لكن معرفة هذه الحركة تمتد الى الحقائق السـامية ،دون ان تعطي وزنا لمعرفـة الامور الدنيوية ،التي هي من خلق الاله الصانع ،المختلف عن الاله الصالح الذى لا يدرك ولا يحد والذى لا اسـم له •

الثنائية كانت نتيجة لاحتقار المادة واحتقار الجسـد ،وكانت دافعـا نحو ميل نسـكي متطرف ،يبتغي تحرير النفس من سـجنها ،الذى هو الجسـد ، اى ان الخلاص لا يتم الا بالانعتاق من الهيولى ومن شـرها •

من هنا اعتبر العرفانيون انفسـهم انهم ذوو طهارة ومعرفة ، وانهم مختارون وانهم الوحيدون الذين يحاربون الشـر حقا •

طبيعة هذا المذهب التوفيقي جعلته يظهر تحت اشـكال مختلفة ويفرق متعددة • واهم فرقـه :ـ اللاناموسـيون •

ـ الحواة •

ـ الفالنديون •

ـ اتباع فاسيليدس .

ـ " فرذيسانيس.

ـ " اتباع مرقيون الذي كان اكثرهم خطرا على المسيحية .

اننا بسبب هذه التعددية ليضا ، لا نعرف اذا كانت المرفانية ديانة ام فلسفة ، وكأن الفلسفة يئست من ذاتها فطلبت ختم الاعلان ، والدين ايضا احس بعجزه فطلب دعم الفلسفة . انها خليط من الاثنين في شكل مسيحي . وفي هذا تختلف عن الهرطقات ، اذ لم تتبن العقائد المسيحية الاساسية ، مثل الاعتراف بوجود اله واحد . لذلك كان خطرها كبيرا على المسيحية ، خصوصا وانها كانت حركة كثيرة الانتاج الادبي والتأليفي ، تكثر من استخدام الاسلوب الشاعري للتأثير على السامعين . حتى ان اباء الكنيسة جاهدوا اكثر من قرنين للتغلب على هذه الحركة . اننا نستطيع ان نلخص تعاليم هذه الحركة كما يلي :

ـ المعرفة ليست ذهنية فقط ، لانها تستند الى الاعلان الالهي .

ـ العهد القديم لا قيمة له ، كل ما فيه يفسر رمزيا .

ـ الاله الخير يتعالى على الانسان والمادة ، وصلته بالعالم لا تكون الا بواسطة سلسلة من الكائنات او " الدهور " .

ـ العالم لا قيمة مطلقة له ، لانه من خلق الاله الصانع ، الذي هو احد الدهور السفلية .

ـ يوجد في الانسان عنصر مادي يقبل العنصر الروحي .

ـ الناس ثلاث فئات :

أ ـ الروحانيون هم ذوو المعرفة .

ب ـ النفسيون هم ذوو الايمان فقط .

ج ـ الجسديون هم المؤمنون بالمادة فقط .

ـ عمل المسيح كان ظاهريا فقط ، اذ لم يصلب حقيقة . وهو ليس الاله السامي والمتعالي .

الادب الابوكريفي

ظهر في أوائل القرن الثاني ادب مشابه للادب الكتابي من حيث الشكل ، اي انه يضم اناجيل واعمال ورسائل ورؤى ، ومعاير له من حيث الاسس اللاهوتية ، بحيث اننا نجد انفسنا في عالم ملئ بالعجائب والاساطير ، بعيد عن الواقع التاريخي .

ولقد سمي هذا الادب بالابوكريفي ، اى بالادب المحجوب او المخفي ، لانه اخفي عن اعين الذين لا يستطيعون فهمه ، ولانه مقتبس من مصدر مجهول ، او من منهل خفي .

ومع مرور الزمن اصبحت لفظة ἀπόκρυφος تعني الشئ المنحول او المرفوض ، او الزائف . ينقسم هذا الادب الى فئتين :

١) ـ الفئة التي حاولت ملئ بعض فراغات الكتب القانونية وثغراتها ، دون ان تشوه الصورة الحقيقية للكتاب المقدس .

٢) ـ والفئة التي لم تقدم مادة جديدة فحسب ، بل شوهت صورة المسيح الانجيلية ، وشوهت التعليم الكتابي عامة . هذه الفئة ، ذات الاصل الهرطوقي ، سمت الى اسقاط التعاليم الهرطوقية وابتداعلاهوت لا علاقة له باللاهوت الكنسي . فلقد اظهرت المسيح اما انسانا فقط او الها فقط ، وذلك تحت التأثير اليهودى والتأثير العرفاني .

اليهود حاولوا انكار الوهية المسيح ، والعرفانيون حاولوا انكار ناسوت المسيح ، ففصلوا العالم السماوى عن العالم الارضي ، كما رأينا ، ولم يظهروا اى اهتمام بيسوع التاريخي ، وغايروا بين "يسوع" وبين "المسيح" .

هذا الادب اللاارثوذكسي كان كثير الانتاج الادبي ، مما شكل خطرا كبيرا على الكنيسة ، ودعاها الى وضع قانون للعهدين القديم والجديد ، والى ابعاد هذا الادب عن المؤمنين . فكان الادب الابوكريفي اهمية ايجابية من حيث تثبيت اصالة تعليم الكنيسة ، واهمية سلبية جدا من حيث انه يشير الى اضطراب روحي في الكنيسة ، والى اضاعة الفكر الرسولي ورفضه .

عطاء الادب الابوكريفي مهم ، لأنه يعطينا صورة عن الحالة الروحية التي كانت سائدة في الكنيسة ، وفكرة عن الحالة الليتورجية ، ويزودنا بامور كثيرة تتعلق بثقافتنا التاريخية عن الادب التلفيقي والادب الشعبي . به نعرف الميول المختلفة والاديان الشعبية ، والمفاهيم الفلسفية عند المؤمنين ، وتسرب العرفانية

الآبـاء المدافعـون

الاضطهاد اليهودى والدفاع المسـيحي :

اليهود هم اول من اضطهد المسـيحيين ، لكن ضعفهـم السـياسـي المتزايد ودمار اورشـليم ودفاع المسـيحيين عن ايمانهم قللوا من النتائج الوخيمة التي كان يكنها اليهود للمسـيحيين . رافق هذا الدفاع ادب دفاعي ابتـدأ في العهد الجديد مع كلام اسـتفانوس وبولـس وتطور الى ان اخذ شـكلا منهجيا مع آريسـتون ويوسـتينوس .

لقد كان دفاع المسـيحيين يدور حول الناموس واهميته وحول اكتماله في المسـيح يسـوع . فالناموس مؤدب παιδαγωγός يقود الى المسـيح . وهذا يعني ان الناموس لا يملك قوة دائمة ، كما يزعم اليهود . كما وان الخلاص هو كونـي ، يشـمل كل الاجناس والاعراق ، ولا يقتصر على اليهود . الانبياء انفسـهم تحدثوا عن المسـيح وعن خلاص البشـر ، وليس عن الامة اليهودية .

الاضطهاد الوثني والدفاع المسـيحي :

بعد انتشـار المسـيحية في ارجاء الامبراطورية ، واجه المسيحيون اضطهادا آخر اشـدّ عنفا شـنّه الوثنيون عليهم ففي بادىء الامر ظن الوثنيون ان المسـيحية شـيعة يهودية ، ومن ثم تخيلوا فيها اشـياء واشـياء ، اذ لم يفهموها الا من خلال الاصنام والذبائح . واتهموا المسـيحيين انهم يسـتسـلمون للفجور في اجتماعاتهم السـرية ، وان موائدهم هي موائد سـكر وخلاعة واكل . حتى ان بعضهم قال ان المسـيحيين يعبدون الها ذا رأس حمار (صورة تلة البلاتيوم في روما ، تمثـل شـخصا مصلوبا له رأس حمار) .

السـبب الرئيسـي لهذا التهجم القاسـي والاسـتهزاء اللاذع انما هو شـعور الحكام بأن المسـيحية تهدد حكم الامبراطورية ، لانها تهدد ديانتهـا التي هي الوثنية . وبما ان المسـيحيين رفضوا الاعتراف بالامبراطور الها ، رأى القادة فيهم الخصم الذي يسـعى الى دك النظام الموجود .

عدد من الكتاب الوثنيين ايضا هاجم المسـيحية منهم لوقيان السمسطائي وكلسـس . وبعض الفلاسـفة اعتبروا المسـيحيين فقراء ومسـاكين ، ولا يفقهون مـا يقولون .

اعترض المدافعون المسيحيون على هذه التهم الموجهة الى المسيحية وقالوا ان المسيحية لا تشكل خطرا على الدولة ، لا بل انها تهتم بتوطيد السلطة ونجاح العالم . كما انهم ابرزوا مناقبية المسيحيين ، واظهروا تفوق حياتهم ، وعظم شرفهم ، وطهارة سيرتهم . ودحضوا كل القوانين والاعراف القائمة في العالم المدني ، وكل ميثولوجية الوثنيين وخرافاتهم ولا اخلاقيتهم . وفي هذا الدحض ابرزوا معاني الله والكلمة وعناية الله بالعالم والهيولى والنفس والخلود والقيامة .

وردّ الاباء المدافعون على الفلاسفة ، واظهروا نقائص الفلسفة ، وعدم بلوغها الحقيقة الكاملة ، واقتباسها مفاهيم عديدة من موسى الذى هو اقدم منهم . تركيزهم على موسى عنى ان المسيحية ليست جديدة ، انما قديمة كقدم موسى .

هذه الردود جعلتهم يتصلون بالعالم الوثني اتصالا وثيقا . وسموا المسيحية الفلسفة الحقة . والبعض منهم دعيوا الفلاسفة اذ ارتدوا لباسهم ، وفتحوا مدارس شبيهة بالمدارس الفلسفية .

لكن لاهوت هؤلاء الاباء اتي غير كاملا ، لانهم اهتموا بالامور التي يدافعون عنها فقط ، ولان كل لاهوت دفاعي يفقد اللاهوت شيئا من فرادته وشيئا من موضوعيته . مثال على ذلك ، انهم وسعوا من امتداد موسى وقلصوا من امتداد المسيح .

****

) اثيناغوراس الاثيناي (سنة اولى)

اثيناغوراس الاثيناي
الفيلسوف المسيحي

اذا كان يصح ان يطلق هذا اللقب على كاتب مسيحي ، فانه يكون اكثر ملائمة لشخصية اثيناغوراس.

اننا نجهل تفاصيل حياته ، اذ قلما يرد ذكره في النصوص القديمة . كل ما نعرفه عنه هو مستقى من كتاباته ، التي تشير الى انه عاش زمن حكم مركوس افريليوس (١٦١-١٨٠) . وانه كان رجلا مثقفا يجيد الخطابة ويحسن استعمال البيان والتعبير الجميل ، ويعرف الفلسفة جيدا . ولعله كان يؤيد " ذوى الامساك " ἐγκρατεῖς ، اذا ما حكمنا عليه من خلال مفهومه للزواج . (ذوو الامساك هم فئة عرفانية متطرفة) . ومن المحتمل ايضا انه كان يمارس مهنة المحاماة وتدريس الخطابة .

كان مسيحيا مدافعا ، لكنه كان يستخدم النطق الفلسفي في الدفاع عن موقفه ، حتى انه لا يستخدم الاسس الكتابية ، ولا تعبير التقليد الكنسي . وهذا يعود الى انه اتى من محيط فلسفي . الامر الذى جعله يؤمن بأن الفلسفة تستطيع الوصول الى حقائق متعددة . برهان على ذلك هو ان افلاطون آمن باله واحد ازلي صانع ، فالانسان عنده ، يتحرك نحو الحقيقة " بنفس الرب " . وهذا الرأى يشابه رأى يوستينوس عن الكلمة المزروعة " ، بيد انه قال ان الفلاسفة لم يعرفوا الكائن معرفة حقيقية ، لان هذه المعرفة لا تكتسب الا اذا طلبها الانسان من ربه واعطاه اياها .

وكان اثيناغوراس يؤيد ذوى الامساك - كما اشرت - لانه يعطي للبتولية قيمة مطلقة ، ويحصر العلاقات الزوجية " بانجاب الاولاد " ، ويعتبر ان الزواج الثاني " زنى مؤدب " .

اذن اعتبر ان المسيحية امتداد واكمال لعمل الفلاسفة ، دون ان يهلّن المسيحية ، انما نصرن الفلسفة ، وآمن بمفهوم اخلاقي غريب عن تعليم الكنيسة . ان هذين المفهومين قد يفسران غياب المعلومات عنه .

كتاباته :

كتابه الاول يحمل عنوان " التوسل للمسيحيين " . فيه يرفض الاتهامات الثلاثة الموجهة ضد المسيحيين، وهي - الالحاد .

- فساد الاخلاق .
- اكل اللحوم البشرية .

١) اثيناغوراس الاثينائي (سنة اولى)

في المقدمة يقول ان الوثنيين يعبدون ما يشاؤون • فالمصريون اعتقدوا ان الحيوانات هي آلهة • فهل عدم ايمان المسيحيين بها هو الحاد ؟ لقد استقى المسيحيون تعليمهم من الانبياء ، رسل الله الذين تكلموا بواسطة الروح القدس• وهم يؤمنون باله واحد غير مركب وبطغمات ملائكية يخدمون الله ويعتنون بالعالم • ويستقي اثيناغوراس من الرواقية والافلاطونية ليظهر ان تناغم الكون هو دليل على وجود هذا الاله ، الذي يؤمنون به • انهم لا علاقة لهم بعبادة الاوثان • والعجائب التي تفعلها آلهة الوثنيين هي من صنع الشيطان • كما أن موقف المسيحيين من التبتل والزواج يبعد عنهم تهمة الاخلاق الفاسدة ، ويظهر مدى ايمانهم بالعفة والطهارة •

اما عن التهمة الثالثة فقال ان المسيحيين لا يهتمون بالحياة الدنيوية ، وهذا يعني انهم لا يأكلون لحوم البشر ، ويتلذذون بمشاهد القتل والالعاب الدموية •

حول قيامة الاموات (كتابه الثاني) •

هو مجموعة من البراهين والشواهد الفلسفية لبرهان قيامة الاموات •

في القسم الاول يهاجم الذين يرفضون قيامة الاموات ، وقيامة الجسد ، لأنه من السخف القول ان الله لا يقدر ان يقيم الجسد ثانية • اذ ان قوته ظاهرة من خلال الكون •

في القسم الثاني يسعى الى برهان ضرورة قيامة النفس والجسد ، لان الانسان خلق ليعيش ابديا •

لاهوته : المهم في كتابه الاول " التوسل الى المسيحيين " هو ذكره للثالوث ، وتحديده للاهوت الذي هو كلام على الله والملائكة والارواح الخادمة • الله يفعل في الانبياء ، فيحركهم ويجعلهم ينطقون بكلمته • لكن هذا لا يتحقق الا بعد وصولهم الى الوجد الالهي •

الى جانب هذا الكلام الالهي الذي يتم بعمل الروح ، هناك الكلام الطبيعي الذي يتحدث عن الله من خلال تناسق العالم وتناغمه •

لاهوته عن الثالوث الاقدس ليس دقيقا • اذ يقول ، من جهة ، ان الله ازلي ، غير مخلوق غير مدرك • لكنه من جهة اخرى يظهر انه سابق لسبالليوس الذي قال ان الله ذو اقنوم واحد ظهر من خلال ثلاثة أوجه (الاب والابن والروح القدس) •

هناك تعبير ليتورجي يلفت الانتباه عنده وهو الذبيحة غير الدموية • ولقد اصبحت هذه العبارة اساسا في التعابير الليتورجية •

يوستينوس الشهيد

ولد في عائلة وثنية في مدينة نيابوليس ، (نابلس اليوم) . ومنذ شبابه اظهر اهتماما قويا بالتفتيش عن الحقيقة . لذلك التجأ الى مدارس فلسفية متعددة بحثا عنها . فالتجأ اولا الى الرواقية ومن ثم الى المشائية فالبيثاغورية ، واخيرا الى الافلاطونية ، حيث وجد شيئا مما يبحث عنه . وخصوصا في نظرية المثل . لكن سرعان ما خاب امله ، واحس بضيق شديد ، فذهب الى شاطىء البحر ، ليزيل عنه هذا الضيق ، هناك التقى بشيخ جليل ، ارشده الى الحقيقة مظهرا له ان الفلسفة لا تستطيع ان تروي الظمأ اند اخلي عنده ، وان الانبياء وحدهم هم الذين " رأوا الحقيقة واعلنوها للناس " .

اهتدى يوستينوس وشرع في دراسة الانبياء ، واسس في روما مدرسة خاصة به ، فكانت المدرسة المسيحية العليا الاولى بعد مدرسة بولس في افسس . وهذه الخطوة دشنت عهدا جديدا في الكنيسة ، اذ جذبت عددا كبيرا من التلاميذ المسيحيين والوثنيين ، الامر الذي يشير الى نجاحه كمعلم . هذا النجاح اثار حسد بعض الفلاسفة ، حتى ان واحدا منهم قدم شكوى للدولة ضده فاحضر للمحاكمة حيث رفض ان يقدم القرابين للآلهة ، واعترف بايمانه المسيحي . فحكم عليه بالموت بقطع الهامة . والكنيسة تعيد له في اول حزيران .

كتاباته :

لم يبق لنا من كتاباته العديدة سوى ثلاثة كتب ، تحمل طابعا دفاعيا ، لدحض كل المفاهيم اللامسيحية والمفاهيم المسيحية الكاذبة ـ هذه الكتابات ليست دائمة مدروسة من حيث الاسلوب ، اذ يعوزها التناسق في الافكار ، لكن تبقى ذات طابع حي ومبدع تثير انتباه القارىء .

الدفاع الاول : انه اهم واطول دفاع مسيحي . يبدأ هذا الدفاع ببرئة المسيحيين من التهم الخاطئة الموجهة اليهم ، لان المسيحيين ليسوا ملحدين . بل يؤمنون بالاله الواحد الحقيقي . وهنا يستخدم يوستينوس ٣ حجج للدفاع عنهم : ١) حياة المسيحيين الاخلاقية .

٢) الانحطاط الاخلاقي في العالم الوثني ، الملىء بالممارسات الخاطئة والانغماس بالسحر .

٣) ان الانبياء هم اسمى من الفلاسفة الذين استقوا من موسى اقدم الكتاب .

واحتج ايضا على الاسلوب المتبع بانزال العقوبة بالمسيحيين ، لمجرد اعترافهم انهم مسيحيون .

في الفصول الاخيرة يصف حياة المسيحيين الاسرارية . وهذا الوصف مهم ، لانه يزودنا بمعلومات مهمة عن العبادة المسيحية في القرن الثاني .

الدفاع الثاني : يبدأ دفاعه بايراد حادثة قتل ثلاثة مسيحيين ، بتهمة انهم مسيحيون . ويبرهن ان المسيحيون لا يحاكمون لانهم يفعلون الشر بل لانهم يفعلون الفضيلة ويعلمون الحقيقة ، ثم يدحض افتراء احد الفلاسفة الكلبيين ، مؤكدا تفوق المسيحية على الوثنية وجميع الفلسفات .

الحوار مع تريفن : اهم عمل لاهوتي في الكنيسة القديمة ، واقدم مؤلف ضد اليهود . وهو حوار جرى بين يوستينوس ومعلم الناموس تريفن . في المقدمة يصف يوستينوس اهتداءه الى المسيحية . ومن ثم يجيب على رأي تريفن مشددا على وقتية الناموس ، ويدافع عن الوهة الابن ، كما تنبأ عنها الانبياء . كما ويؤكد ان الامميين هم شعب الله الخاص ، اذا ما قبلوا وآمنوا بالمسيح ، الذي هو رأس الجنس المختار الجديد .

وفي الخاتمة يعبر يوستينوس عن امله في ان يهتدي تريفن ورفاقه الى المسيحية .

لاهوته : يعطي يوستينوس في لاهوته نفحة جديدة وابعادا جديدة في الكنيسة . اذ انه لاهوتي مبدع وخلاق ، ومع انه احب الفلسفة حبا عميقا ، فلم يتحول الى فيلسوف باحث ومتأمل ، ولا الى صاحب نظريات فلسفية . بل كان معلما في الكنيسة نقل ما تعلمه . اي انه لم يحول الحقيقة الانجيلية الى حقيقة فلسفية ، انما احس بضرورة استخدام الفلسفة التي تعلمها والتي عاش في اجوائها .

ان الكلمة (Λόγος) هو الوسيط بين الاب والعالم . وهذا الكلمة قد صدر من الآب كصدور لهيب النار من النار . وهو ينير العقول البشرية منذ بدء الخليقة . اي عمل قبل تجسده . فكان فاعل الظهورات في العهد القديم ، وكاشفا عن ذاته لابراهيم ويعقوب وموسى . وواهبا للناس البذور العقلية . ولذلك سمي بالكلمة البزري (σπερματικός Λόγος)

" كل ما قاله الفلاسفة والمشرعون وما اكتشفوه من جميل ، انما بلغوا اليه بتأثير جزئي من اللوغوس " .

والكلمة اصبح في العهد الجديد " الانسان بين الناس " ، والمشرع الجديد ، الذي يعلم المعرفة القويمة ويعطي الحقيقة للانسان ، ويكمل رسالة الانبياء .

لان ناموس موسى ورسالة الانبياء يضمان الحقيقة التي لم تكن كاملة بعد . الاعلان الكامل حدث بالمسيح يسوع . بالطبع ان اليهود لم يفهموا الحقيقة المخفية التي نطق بها الانبياء ، التي لا تظهر الا اذا فسرنا الكتاب تفسيرا رمزيا واستعاريا .

في انثروبولوجيته (الاناسة) يختلف عن افلاطون ، الذي يعتبره الكثيرون انه المسيطر على لاهوت يوستينوس . اذ لم يعتبر ان الجسد شرير وان النفس خالدة بطبيعتها . خلودها هو بالنعمة المعطاة لها من الله .

الانسان خلق على صورة الله ، كائنا غير مائت ، لكن مخالفة حواء ولدت موتا وفسادا . فأتى المسيح مخلصا . وعلى الانسان ان يقتدي بالله لكي يصبح الها . وهذا الاقتداء يفترض جهادا ، يستمر الفرد حتى الموت ويستمر مع الانسانية حتى المجيء الثاني المجيد .

****

تاتيان السوري

ولد في سوريا سنة ١٢٠ من ابوين وثنيين . درس الفلسفة ، وتمحص كل الديانات الشرقية . وبما انه كان يملك روح البحث والتنقيب ، وشوقا شرقيا لمعرفة الحقيقة ، وميلا نبويا ، ورفضا للمدنية اليونانية الرومانية ، جال في بلدان عديدة ، حتى وصل الى روما ، حيث اعتنق المسيحية . وهو يصف اهتداءه هكذا : " فيما اطلب الحقيقة حدث ان تعرفت على الكتب الاجنبية (اسفار العهد القديم) ، التي هي اقدم في مفاهيمها من المفاهيم اليونانية ، واكثر صحة ، واكثر وضوحا . فآمنت بالله واصبحت اتلقى العلم منه " .

يقال انه اسس مدرسة خاصة به في روما . وبعد ذلك عاد الى الشرق وتأثر بالعرفانية ، لا بل انه اعتنق مذهب الامساكية الذي يحرم الزواج والخمر حتى في سر الشكر .

= ما وصلنا من مؤلفاته :

١) — " الى الهلينيين " وهو اعلان عن فكر مدرسته وافتراضاتها . في هذا المؤلف يشير الى ان اليونانيين اقتبسوا كل شيء من البرابرة واستخدموها للشر . ومن ثم يسعى الى اظهار تفوق المسيحية على الامية ، ويزدري بالفلسفة .

٢) — الانجيل الرباعي : دار في فكر تاتيان سؤال مهم هو (لماذا توجد اربع روايات انجيلية عن يسوع ؟) لم يجد جوابا مرضيا ، لذلك حاول تقديم سرد واحد متناسق لكل الروايات والاقوال الموجودة في الاناجيل الاربعة .

لقد راج استعمال هذا الانجيل في الشرق . والكنيسة السريانية ظلت تستخدمه حتى القرن الخامس ، الى ان استبدله رابولا اسقف الرها بالاناجيل الاربعة المنفصلة .

هذا الانجيل يتبع ترتيب يوحنا ويهمل ذكر الولادة ونسب المسيح . لاقى رواجا لانه ازال التعارض الموجود احيانا بين الاناجيل الاربعة . لكن هذا الرواج لم يستمر ، لانه كان وثيقة بشرية وعملا غير ملهم من الروح القدس ، وقد قال القديس ايريناوس في هذا الصدد : " هناك انجيل واحد باربعة اوجه ، من زاد عليها او انقص منها يقطع نفسه عن الاخوة .

كما ان تاتيان يستخدم مادة ابوكريفية ، ويثبت بعض المبادئ العرفانية .

٢) تاتيان السـوري

اننا نجهل اللغة التي كتب فيها ، لأن النص الاصلي لم يصلنا ، ويرجح انه دونه باليونانية ومن ثم ترجمه الى السريانية .

هناك ترجمة عربية متبقية حتى اليوم قام بها الراهب ابو الفرج بن الطيب .

= يؤلف تاتيان وضعا فريدا في الكنيسة . اذ اسس مدرسة خاصة به ، وكنيسة خاصة ، ومقاما لاهوتيا خاصا ، وان كان منتميا الى العرفانية . فقد استطاع ان يترك اتباعا عديدين له .

رأيه في الحضارة اليونانية ـ الرومانية مشابه لرأى المدافعين الآخرين فقال ان هذه الحضارة اخذت الحقيقة من موسى وشوّهتها . ولهذا يحتقر كل الادباء والخطباء والفلاسفة اليونانيين ، على الرغم من انه متأثر بالفلسفة وبالافلاطونية الشعبية . تاتيان كاتب مسيحي ، ومحلل ، يستخدم افكارا عرفانية ودوكيتية . ويرفض الزواج وكل الشراح عالمي ، واكد اللحم وشرب الخمر حتى في الافخاريستيا .

****

ثيوفيلوس الانطاكـــي

كان ثيوفيلوس الانطاكي يعرف لاهوت المدافعين المسيحيين ، ويقتبس منهم الخطوط الاساسية . فمن يوستينوس اخذ فكرة اهمية النبوءات ، واقتباس الهلينيين من موسى . ومن اثيناغوراس اخذ التسليم حول الكلمة وبرهان القيامة . ومن تاتيان اخذ احتقار الفكر الهليني .

ولد في مكان قريب من الفرات من ابوين وثنيين . اكتسب ثقافة واسعة . ثم اهتدى الى المسيحية واصبح اسقفا على انطاكية .

صنّف ثيوفيلوس كتبا عديدة ، لم يبق منها سوى ثلاثة كتب موجهة الى افتوليكتس صديقه ، الذى انزعج من اهتداء ثيوفيلوس الى المسيحية .

لاهوتـــه : يختلف عن المدافعين الآخرين في عدة نقاط ، اهمها هو انه لم يهتم بالبراهين المنطقية ، بقدر اهتمامه بالخبرة الروحية . فالايمان ، مثلا ، هو مطلب الخبرة الانسانية . لذلك ، فان كل برهان منطقي على هذا الايمان ليس ضروريا .

لم يقترب اى كاتب كنســـي من العهد القديم كما اقترب هو منه . اذ مع انه من عائلة وثنية ، فقد واجه الحكمة الدنيوية كيهودى . كما كان مرتبطا بالتقليد اليهودى ، الامر الذى يشير الى وجود تيار يهودى ـ مسيحي في البيئة التي عاش فيها .

عندما يتحدث عن الفلاسفة والشعراء يقول احيانا انهم من جراء المجد الباطل لم يعرفوا الحقيقة ولم يساعدوا الآخرين على معرفتها ، واحيانا اخرى انهم وصلوا الى الحقيقة وعرفوا الاله الواحد والدينونة والمكافأة وبعض المفاهيم الدينية الاخرى . ينسب هذه المعرفة الى الانبياء ، كما نسبها المدافعون الآخرون . لكنه يعترف انهم يملكون القدرة الخاصة على الاقتراب من الحقيقة ، اذا ما طهروا انفسهم ، لأن الخطيئة تعيق معرفة اللـــه .

بما ان لاهوته اخلاقي ، فهو دائما يعتبر ان الايمان ظاهرة مسكونية تسبق كل الاشياء ، وتسبق المعرفة ذاتها . فالايمان يقود الى معرفة الله ورؤيته ، اذا كانت الطهارة موجودة . الانسان الطاهر يعاين الله ، اما غير الطاهر فلا يعاينه ، لان الغشاوة قد وقعت على عينيه . الهنا غير مدرك وغير معقول فكريا ، اى غير مقترب

اليه من القوى العقلية عند الانسـان • وهو الذى اوجد الخليقة من العدم وفق ارادته ، وفي هذه الخليقة ارتسـمت الحكمة والعناية وجمال الخالق •

الكلمة هو مسـاعد لله في الخلق من العدم ، وهو الذى كان يتحدث الى آدم والانبياء • لقد كان موجودا منذ الازل في احشـاء الله ككلمة مسـتقر في الآب λόγος ἐνδιάθετος وعندما عزم الآب على الخلق ولده قبل كل الاشـياء ككلمة لفظي λόγος προφορικός (هذه الالفاظ مسـتقاة من الرواقية) •

ومع الابن الازلي كان يوجد الروح القدس • وهؤلاء الثلاثة يؤلفون ثالوثا • ثيوفيلوس كان اول من اسـتخدم لفظة الثالوث τριάς بين الكتاب المسـحيين •

الانسـان ، عنده ، ذو مرتبة رفيعة ، اذ يأتي مباشـرة بعد الثالوث• خلقه الله طفلا في الكمال ، لكي ينمو في معرفة الخالق ، ويتّحد بـه • وبما انه كان طفلا فقد منعه الله من ان يأكل من شـجرة المعرفة • لكنه خالف الوصيّة واكل منها ، فخسـر فرصة الخلود وصار مائتـا • يقول " انه لا يخلق الانسـان خالـدا ، ولا مائتا ، انما خلقه قابلا للاثنين • لكي اذا مال الى الخلود بحفظ وصية الله ، يعطى له الخلود كمكافأة ويصبح الها • ولكن اذا ما اتجه نحو الامور المائتة مخالفا الله ، يكون هو ذاته سـببا للموت" •

ان ضياع بعض مؤلفاته يعيق طريق اكمال لاهوته وخصوصا لاهوت التجسّد واعتاق الانسـان من هذه الخطيئة • وهذا الضياع جعلنا نفقد ايضا اهم كتبه في التاريخيات • لكن تأثيره على الكتاب اللاحقين كان كبيرا وخصوصا في موضوع الطفولة الروحية عند الانسـان في الفردوس• وهذا التأثير ظهر بوضوح في كتابات ايريناوس التي سـنتناولها الآن •

****

****

****

ايريناوس اسقف ليون

لاهوتي التقليد

ابتدأ القرن الثاني باغناطيوس الانطاكي وانتهى بايريناوس اسقف ليون ، فكانا محطتين اساسيتين للّاهوت الارثوذكسي والتقليد المسيحي والادب الصحيح . تربط هاتين الشخصيتين علاقة قوية في تقديم تعليم الكنيسة الى ابناء القرن الثاني .

بظهور ايريناوس استطاعت الكنيسة ان تتجاوز لاهوت الآباء المدافعين ، الذي ادخل بعض المفاهيم غير المقبولة ، واستند الى الفكر الفلسفي ، وان تحارب المنشقين باسلحتها الخاصة ، دون اللجوء الى الاسلحة الفلسفية ، وان تستند كليا الى لاهوتها ، لان الحقيقة الموجودة في الكنيسة هي ، عند ايريناوس ، السلاح الحقيقي الفعال .

ولد هذا الاب في آسيا الصغرى ، وعلى الارجح في ازمير ، اذ يذكر في احدى رسائله انه كان يستمع في شبابه الى عظات بولكربوس اسقف ازمير . وفي وقت مجهول ترك آسيا الصغرى متجها الى فرنسا ، حيث اصبح شخصية قيادية ولاهوتيا بارزا .

عندما وقعت الاضطهادات في ليون كان اسقفها فوتينوس اكليل الشهادة . فخلفه ايريناوس على سدّة الاسقفية بعد عودته من روما التي انّها كممثل لكنيسة ليون لمعالجة قضية المونتانيين .

في ليون حقق ايريناوس اعمالا عظيمة على عدة اصعدة :

١) ـ على الصعيد التبشيري واللاهوتي .

٢) ـ على صعيد محاربة العرفانية والهرطقات الاخرى .

٣) ـ على صعيد خلق السلام بين الكنائس ، وخصوصا بين بابا رومية وبين كنيسة آسيا الصغرى في قضية تعييد الفصح . ولذلك دعي " صانع السلام " .

الكنيسة تعيد له كشهيد ، لكن المعلومات المتوفرة لدينا عن استشهاده هي متأخرة .

ايريناوس اسقف ليون (٢)

مؤلفاته : لم يبق لدينا من مؤلفاته سوى اثنين :

١) ـ " تفنيد المعرفة ذات الاسم الكاذب ودحضها " .

وصلت الينا ترجمته اللاتينية بعنوان " ضد الهرطقات " . يوجه كتابه الى صديق له لدحض هرطقة فالنديوس وتلميذه بتوليماوس وكل الهرطقات الاخرى . يتألف من خمسة اجزاء : ـ في الكتاب الاول يعرض تعاليم فالنديوس وبتاليماوس وكل الهرطقات ابتداء من سيمون الساحر .

ـ في الثاني يدحض تعاليم الهراطقة الذين يستندون الى الطريقة الديالكتيكية الفلسفية ، موردا التعليم الصحيح المحفوظ في الكنيسة .

ـ في الثالث والرابع يوسع التعليم الارثوذكسي ، وظهرا عدم تشابهه مع تعليم الهراطقة .

ـ في الخامس يبحث في الاخرويات مؤكدا على قيامة الجسد .

المؤلف الثاني يحمل العنوان التالي " برهانان الكرازة الرسولية " ويبسّط :

ـ التعاليم الاساسية للكرازة الرسولية .

ـ اتمام نبؤات العهد القديم في المسيح يسوع .

تعليمه :

التقليد : كل التعليم المسيحي ، عنده ، موجود في قانون الحقيقة ، الذي هو متجذّر في التقليد كنواة له .

التقليد ، ما مدوّنا او غير مدوّن . التقليد غير المدوّن هو العهد الجديد الشفهي ، الذي يملك سلطة مساوية للعهد الجديد المدوّن . هذا التقليد الذي سلم شفاها قد رفضه الهراطقة ، كما رفضوا التناغم الداخلي الموجود في التقليد المدون . اى انهم رتبوا التعاليم الكتابية على اسس غريبة عن الكتاب نفسه ، لانهم رفضوا قانون الايمان الذي هو المرشد الى قراءة الكتاب . التقليد ، عنده هو وديعة حيّة اعطيت الى الكنيسة كنسمة حياة جديدة يحفظها الروح القدس بحضوره الدائم فيها . الغنوصيون تجاهلوا هذا التقليد وتجاهلوا تاريخية المسيح ، زاعمين انهم يملكون تقليدا اعطي لهم سريّا بواسطة الرسل .

دحض ايريناوس هذا الزعم ، مبرهنا اصالة تقليد الكنيسة بذكر الاشخاص الذين تسلموا التعليم الرسولي وسلّموه الى غيرهم . الاسقفة والشيوخ هم حملة التقليد الواحد ، الذي يبقى هو هو رغم الاختلاف الاجتماعي والجغرافي .

التقليد حدث دينامي ينمو دون ان يتبدّل ، او ان ينقل حقيقة جديدة مخالفة للحقيقة الاولى ، او ان يبتدع مسيحا جديدا وخالقا جديدا .

الكنيسة : الكنيسة منتشرة في العالم كله ، لكنها تظهر وكأنها تسكن في بيت واحد . اذ انها واحدة والايمان واحد والتقليد واحد . انها ام لابنائها ، وموضعة لهم كأطفال اعزاء . وهي كالشمس التي تكون واحدة في العالم ، تنير كل الذين يريدون ان يأتوا الى معرفة الحقيقة .

احترم كنيسة روما ، لانها عمل التقليد الصحيح ، ولم يعطها اولوية سلطوية

اللاهوت: اظهر ان تعليم العرفانيين يستند الى لاهوت خيالي . لانه خال من الخبرة الروحية . فمحبة الله التي تقود الى هذه الخبرة هي افضل من المعرفة الفلسفية التي قد تبعد الانسان عن الله ، والتعلق بالمصلوب اعمق من اللاهوت التأملي الذي قد يوصل الى الانحراف عن الدين . اللاهوت الصحيح يعلمنا بوجود اله واحد في العهدين القديم والجديد ، خالق وفاعل في التدبير القديم ومتجسّد في الجديد ، وهذا الاله يختلف اختلافا كليّا عن اله العرفانيين الذين يؤمنون بالهين ،اله للشر واله للخير .

الانسان :الانسان كائن مخلوق ، مختلف كليا عن الكائنات الاخرى ، من حيث وجود الصورة الالهية فيه ، لكن بما انه مخلوق ، فالمسافة غير متناهية بينه وبين الخالق . فعند الخلق كان طفلا من الناحية الروحية والاخلاقية والعقلية ، وكان عليه ان ينمو ويتقدم دائما في المعرفة الالهية بمؤازرة الروح القدس ، القديس ايريناوي اهتم كثيرا بالمعرفة الالهية التي هي المشاركة الالهية ،قائلا ان الانسان يعرف الحقيقة عندما يدخل اليها ويعيش فيها ، هكذا يعرف الله عندما يدخل الى نوره .

(الخلاصة)

آدم الثاني الذي اصلى عمل آدم الاول هو خلاصة الجنس البشري، لانه في شخصه الالهي ـ الانساني اعاد خلق العالم الساقط وجدّده ، يقول " عندما تجسّد الله ضم الى ذاته تاريخ الانسان الطويل ، معطيا الخلاص ، كي نحصل من جديد على الشيء الذي فقدناه مع آدم " .

ايضا بما ان المعصية دخلت بواسطة حواء ، فان عملية الشفاء تبدأ بطاعة العذراء التي يسميها حواء الثانية .

اذن ، عمل المسيح الذي شاركت فيه العذراء هو اكمال للخلق او اعادة له .

هيبوليتـــس:

يعتقد الكثيرون ان هيبوليتس ينتمي الى عائلة شرقية استقرّت في روما ، حيث اصبـح كاهنا . وبسبب ثقافته ومواهبه اشتهـر كثيرا في الغرب وبرز ككاتب مهمّ . هاجم البابـا زفيرنوس والبابا و كاليستوس ، وقاومهمـا لتساهلهمـا في قضية المرتدّيـن التائبيـن ، ولانهمـا وصلا الى تعليم مشابه لتعليم صابااليوس. حتى ظنّ البعض انه صار اسقفا منشقا ، لكن المصادر لا تجزم بذلك في هذا الامر ، الذي يحتاج الى بحث وتنقيب لتأكيـده .

في زمـن اضطهادات مكسيميانوس تركس نفي هيبوليتس مع اسقف روما بونتيانوس الى جزيرة سردينيـا حيث تصالحـا . ولشدة العذابات التي نالاها ، ماتـا شهيـديـن ، والكنيسة تعيّد لهيبوليتس كقديس وشهيد .

مصنفاتـــه: في مصنفاته يدحض هيبوليتس الهرطقا . والسحرفانيـة ويرفض استخدام الفلسفـة ، مع انه كان يعرف الفكر الفلسفي . وفي تفسيره للكتاب المقدس يسعى الى تأمـين طهارة القلب واظهار اختلاف الكنيسة عن العالـم وعن الفكر الدنيوي . انـه مـن اغـزر الكتّـاب في الغـرب، على الرغم من ان كتاباته المتبقية ليست كثيرة واكثرهم تمسكا بالتقليـد . اسلوبه واضح وبسيـط لانجد فيه اساليب البلاغة القوية . واسلوبه التفسيري اسلوب مباشر. يستخدم فيه الاستعارة . لكن رمزيتـه هي آسيوية شرقية .

نستطيـع تصنيف كتاباتـه كما يلـي :

١ـ الكتابات التفسيرية :

ـ تفسير دانيال .

ـ تفسير نشـيد الانشـاد .

ـ بركة اسـحق ويعقوب وموسـى .

ـ تفسـير المزامـير .

٢ـ الكتابات اللاهوتيـة :

ـ المسيح والمسيح الدجال : يتكلم فيه على كيفية مجيء المسيح الدجال وعلى تأليه نفسـه وحضـور الرب المفاجـئ ومعاقبتـه لـه .

٣ـ الكتب ضد الهرطقات:

ـ دحض جميع الهرطقات : في المقدمة يقول ان الهراطقة لا يستقون معلوماتهم من الكتاب المقدس ومن التقليد بل من الحكمة اليونانية والعقائد الفلسفية . ومن ثم يبسط عقائد اليونانيين وسرد اسرار السحرة والمنجمين ونظرياتهم . ويذكر المناهج الهرطوقية ابتداء من سمعان الساحر واساليب العرفانيين ويقدم عرضا للعقيدة المسيحية .

٤ـ كتاباته التاريخية :

ـ كتاب الحوليات : هو تأريخ موجز لاحداث الخليقة منذ الخلق حتى القرن الثالث .

ـ برهان ازمنة الفصح .

٥ـ مواعظه :

ـ عظة عن الفصح ، وعظة ثانية في مديح المخلص وثالثة في هرطقة نوتيوس وراعة عن داود وجوليات .

لاهوته :

كان لاهوتيا واسع الثقافة وكثير المعرفة ، ومحافظا على التقليد الكنسي مثل ايريناوس وشاهدا للتقليد الليتورجي ، وآخر كاتب في الغرب دوّن باليونانية . ومع ان هيبوليتوس كان في الغرب فهو يمثل التقليد السوري وتقليد اسيا الصغرى .

ـ الله والكلمة والعالم :

الله والعالم هما عنده ، حقيقتان متناقضتان ، لان الله ذاتي الوجود ، والعالم مخلوق . الكلمة هو الله لانه يأتي من الله ، اما العالم فهو ليس من الله ، لانه يأتي من العدم ومع ذلك فان الارتباط بين الله والعالم هو قوي وقديم يعود الى ايام الخلق .

شدد على وجود اقنومين ، ردا على المونارخية المشابهة لتعليم صابليوس حتى اتهم انه يؤمن بالهين . لكن من يدرس كتاباته يجد ان لاهوته عن الابن يشبه لاهوت المدافعين ، اذ قال ان الكلمة كان موجودا منذ الازل على نحو غير محدود ، ثم ولد بارادة الله في الزمن من اجل خلق العالم ، واخيرا تجسد من اجل خلاصنا فصار مرئيا .

و

ـ الانسان والخلاص:

يعتبر ان الانسان كان في درجة متدنية في الكمال عند الخلق ، وكان يملك امكانية الخلود ، كما قال ايريناوس قبله . لكنه سقط ، فتجسد المسيح موجدا خليقة جديدة صار انسانا حقيقيا ، وليس انسانا خياليا ، واعطى الناس الخلود .

ـ الكنيسة :

يعطي اهمية كبيرة لدور الكنيسة في حفظ الحقيقة . فهي عروس المسيح والامرأة المتوشحة بالشمس(رؤيا يوحنا ١٢ : ١) ،وهي تلد المسيح الكامل ، وهي الجنة التي غرس فيها القديسون ، والسفينة التي تسبح في بحر العمر دون ان تغرق ،لان المسيح هو قبطانها .

تقدم الكنيسة الصالحات الى الجميع، تقدم اولا المعمودية وغفران الخطايا السالفة وقوة الروح القدس ،وثانيا جسد المسيح ودمه ،هي بالحقيقة شركة القديسين ، لذلك رفض مسامحة الخطايا الكبيرة، مقاما كاليستس كما اشرت.

ـ النقضائية :

ليس هيبوليتس الفيّا ، انما متأثر ببعض جوانب الالفية ،اذ حدّد زمن مجيء المسيح ، الذي فيه يبتدئ الملكوت السماوي، في هذا الملكوت سيكون الانسان مصاحبا للمسيح ووارثا معه ، وبعيدا عن اهواء العالم وآلامه . لكن النار التي لا تطفأ تنتظر الخطأة والهراطقة .

==========
==========
==========
==========
========
======
====
==

آباء ـ مدرسة الاسكندرية / ١ /

مدرسة الاسكندرية :

كانت مدينة الاسكندرية ملتقى لثلاث حضارات مهمّة و هي :

ـ الحضارة الهلينيّة ٠
ـ الحضارة الشرقيّة ٠
ـ الحضارة اليهوديّة ٠

و كانت بوتقة لكل أنواع الديانات و المدارس الفلسفيّة و الدينيّة و مركزا للعرفانيّة ٠ لذلك كان لا بدّ من تأسيس مدرسة لاهوتيّة للوقوف ضدّ هذه التيّارات من جهة، و لتعليم الموعوظين من جهة اخرى ٠ أسّس هذه المدرسة بانتينوس ، لكنها لاقت رواجا و نجاحا في عهد اقليمس ٠ و استمرّ نجاحها زمنا طويلا ٠

أهمّ ميزّات هذه المدرسة هي الامور التالية :

ـ استقلال اللاهوت و تخلّيه عن الطابع اليهودي ٠
ـ تبنّي بعض المفاهيم الفلسفيّة، ووضع الايمان باللغة الفلسفيّة ٠
ـ تبنّي الاسلوب المنهجي و حريّة البحث ٠
ـ اتباع التفسير المؤى لنصوص الكتاب المقدّس ٠
ـ التشديد على الطبيعة الالهيّة في الخريستولوجيا ٠
ـ التشديد على النفس في الانثروبولوجيا (علم الاناسة) ٠

بعض هذه الميزّات أوصلت المدرسة الى الانحراف، لكن الكنيسة استطاعت ان تتجاوز هذه الانحرافات ٠

اقليمس الاسكندري : معلوماتنا قليلة عن هذا اللاهوتي الاسكندراني الكبير ٠ نعرف أنه ولد عام ١٥٠ ،من أبوين وثنيين، و رحل الى بلدان عديدة لتحصيل المعرفة ،فاطّلع على أهمّ المذاهب الموجودة في عصره ٠ و أخيرا استقرّ في الاسكندرية، حيث سمع دروس المعلّم بانتينوس و تأثّر به ٠ في زمن الاضطهادات التي شنّها سبتيموس سفيروس ترك الاسكندرية و جاء الى كبادوكية ،حيث توفّي ٠

مصنّفاته : اقليمس كاتب فذّ و معلّم فذّ ، يتحلّى بثقافة واسعة و معرفة للكتاب المقدّس و الفلسفة اليونانية، و يتحلّى بحسّ لغوي كبير، و بميل للشعر و الميثولوجيا لكن مؤلّفاته موجّهة الى النخبة و الى خيرة المثقفين ٠

أشـــهر مصنفاتـــه هي :

١) كتاب حضّي الى اليونانيين

٢) المربّي (او المؤدّب)

٣) البســـــط

وهناك بعض التفاسير القصيرة و المقتطفات التي وصلت الينا و أهمّها :

" من هو الغني الحاصـل علـى الخـلاص؟ "

١) كتاب حضّي الى اليونانيين هو دفاع عن المسيحيّة و دحض للوثنية ،فيه يقارن بين محتوى أناشيد اليونانيين وبين النشيد الجديد الذى هو تعليم المخلّص . ومن ثمّ يصوّر حماقة تعاليـــم الوثنيين وعاداتهم اللاأخلاقية . ويمدح التعليم الذى كرّز به الانبياء و المخلّص ،مظهـــرا ان المسيح هو المعلّـم الأمثـــل .

٢) المربّي (او المؤدّب) : يبحث في هذا الكتاب في الكلمة الالهية التي هي المربّي ،هذا الكتاب هو كتاب أخلاقي يتناول الحياة الاخلاقية و التصرّف الحسن و الابتعاد عن تجـــارب الحياة وينظر في الطعام و الشراب و الزواج و المسكن ... الخ .

٣) البســـط : يتألّف من ســـبعة فصـــول :

ـ في الفصل الاول يظهر أهميّـة الفلســفة .

ـ في الفصل الثاني يبحث في علاقة الايمان بالمعرفـة .

ـ في الفصل الثالث يتحدّث عن قدسيّة الـــزواج .

ـ في الفصل الرابع يتحدّث عن الشهادة و الكمال المسيحي .

ـ في الفصل الخامس يتحدّث عن الرمزيّة و الاستعارة .

ـ في الفصلين السادس و السابع يتحدّث عن المعرفة المسيحيّة وعن حياة العرفاني الحقيقي الذى هو المسيحي .

لاهوتـــه : أول لاهوتي كبير في مدرسة الاسكندرية و أول كاتب دينامي في القرن الثاني . عاصر ايريناوس ،لكنه اتخذ خطّا مخالفا لخطّ التقليد الذى سار عليه ايريناوس ،اذ كان له خطّ أبوكريفي خاص ،على الرغم من تقاويه و محبّته للكنيسة . كان مدافعا واحدا للهرطقات وكاتبا أخلاقيّا ومفسّرا للكتاب . وكان يملك روحا جامعة تهتمّ بكل الديانات و الفلسفات التي تهتمّ بالانسان وبحياتـــه .

وحدة التاريخ الديني : ترجم اقليمس المسيحية باللجوء الى العبارات و المفاهيم الفلسفيّة ، فنصّرت بذلك الفلسفة . فلقد آمن ان الكلمة أعطى للأمم جزءا من المعرفة الحقيقيّة تحت أشكال مختلفة ، لكي ينمّي الانسان هذه المعرفة و يعيشها . الفلسفة هي عمل الله و هدايته و مدرّبة الانسان على الحياة الحقيقية . فكما ان الناموس كان مؤدّبا يوصل الى المسيح هكذا كانت الفلسفة لليوناني . المعرفة الكاملة اعطيت في المسيح .

التقليد : يحذو اقليمس حذو العرفانيين في هذا النطاق ، اذ يحتكم الى التقليد السرّي الشفوي الذي صدر عن الرسل ، باستقلال عن الكتاب المقدّس . و حتى التقليد الموجود في الكتاب فيجب ان نبحث عن المعاني المخفيّة فيه بالطريقة الاستعاريّة . المعنى الحرفي للكتاب هو للقارىء العادي .

اللاهوت : لم يخصّص كتابا (من الكتب التي وصلت الينا) للاهوت ، لكنه يعتقد أنه توجد مرتبتان واحدة للذين دخلوا الى الاسرار وواحدة للذين لم يدخلوا .
الله في لاهوت ذو وجهين ، وجه فلسفي يكون الله فيه غير مقترب اليه ، غير معروف ووجه ديني يكون الله فيه خالقا لكل شيء . المعبور نحو هذا الاله يكون بالكلمة الذي يكشف للانسان المعرفة و هو المربّي الوحيد .

الخلق : الخلق تمّ على يد الكلمة ، الذي خلق العالم بارادته لكي يكون مكانا صالحا للانسان . و هذا الانسان يملك صورة الله فيه . لكن الانسان أخطأ بارادته ، فأضاع طريق الكمال . و الآن في المسيحية يبتدىء الانسان بالايمان ، وينمو مجهادا حتى يصل الى اللاهوى او الحبّ الحقيقي لله الذي هو الكمال و التألّه .

الكنيسة : هي جماعة المخلّصين ، و تعبير عن اراد تالله الخلاصيّة . و لقد أسّسها الكلمة الالهي ، مالئا الكلّ ببذور الخلاص . هي كنيسة واحدة جامعة ، لأنها صورة عن الكنيسة السماويّة و تحقّق المشيئة الالهية كما تحقّق في السماء . انها عروس المسيح و صنيعته بآن واحد . نحسّ من كلامه انه يتحدّث عن كنيسة غير مرتبطة بتاريخ معيّن و مكان محدّد لأنه يهتمّ بخلق كنيسة روحيّة الهيّة .

المسيحي العرفاني : الايمان عند اقليمس هو الصلاح الموجود في الانسان الذي لا يسعى الى بحث الامور و الارتفاع الى مرحلة المعرفة . المؤمن هو المعتمد الذي يحفظ الوصايا فقط . لذا فان الكمال لا يكون فاعلا فيه فقط اذا ارتفع الى معرفة الله يصبح الكمال فاعلا فيه . الذي يعرف الرب هو التلميذ الحقيقي له و العالم بأسراره . يعرف و يدرك كلّ شيء لأنه يملك قوّة الربّ . العرفاني هذا هو المؤمن الشجاع و المقتني عدم الهوى و رائي الله . انه مثال للمسيحيين و نموذج لهم .

++++++++++++++++++
++++++++++
+++

اوريجنّس :

ينتمي اوريجنّس الى مصف أكبر رجال الانسانية، لا بل انه شخصية فذّة ووحيدة في التاريخ الانساني من حيث غزارة انتاجه الادبي ، وقوّة استيعابه للأفكار وغزارة علمه ،ومنهجيّته . جمع بين الشرق الديني الشرقي و البحث الفلسفي و الاهتمام بالفضيلة و الايمان المسيحي . كما أنه ابن حقيقي للجوّ الروحي الذى كان موجودا في الاسكندرية، و لمناخ الافلاطونيّة الحديثة الذى كان منتشرا فيها بقوّة .

ولد في الاسكندرية سنة ١٨٥ من عائلة غنيّة . كان أبوه ذا ثقافة عالية ،فاهتمّ بتربية ابنه و تثقيفه . لذلك شبّ اوريجنّس على حبّ المطالعة و البحث وعلى حبّ قراءة الكتاب المقدّس و تفسيره . ظهرت على شخصيّته معالم الذكاء و الموهبة الخارقة و هو ما زال حديث السنّ، حتى ان والده كان يجد صعوبة في الاجابة على اسئلته . وفي أثناء الاضطهاد الذى شنّه سبتيموس سفيروس على المسيحيّين، اعتقل أبوه ،فأراد اوريجنّس ان يشارك والده في السجن فمنعته امه . بعد موت والده في السجن، عاش في فقر شديد مدّة من الزمن ،لكنه أخذ يعلّم في الاسكندرية بدعوة من اسقفها ،فحصّل بذلك لنفسه دخلا . وبعد ان اجبر اقليمس على ترك الاسكندرية، أصبح اوريجنّس مدير المدرسة مع أنه كان ما زال في الثامنة عشرة من عمره . ولقد نجح نجاحا باهرا في مهنته التعليميّة ،فأقبل اليه المسيحيّون و الوثنيّون لسماع محاضراته ،الى ان أصبح له جمهرة من التلاميذ . كان اوريجنّس يطبّق في حياته ما يبشّر به ، اذ عاش متقشّفا جدا ،فكان ينام على الارض بعد سهر طويل يقضيه في المطالعة و يلبس أبسط الثياب و يأكل قليلا ، حتى أنه خصى نفسه كي يبعدها عن الشهوة الجنسيّة، مفسّرا كلام المخلّص تفسيرا حرفيّا و هو " هناك خصيان خصوا أنفسهم من أجل ملكوت الله " (متى ١٩ : ١٢) .

في سنة ٢١٢ زار روما و استمع الى تعليم هيبوليتس ،وفي سنة ٢١٨ زار انطاكية . و أخيرا زار فلسطين سنة ٢٣٠ حيث رسم كاهنا ، هذه الشرطونيّة التي جرت دون علم اسقف الاسكندرية أثارت نقمة الاخير، لأنه سيم و هو خصيّ و بما ان اسقف الاسكندرية رفضه عاد الى قيصريّة فلسطين ليمارس هناك التعليم . لكنه اسر في اضطهاد داكيوس و بقي في الاسر حتى مماته سنة ٢٥٤ .

مؤلفاته :القديس ابيفانيوس ينسب اليه ٦٠٠٠ كتابا ،لكن لم يصل الينا سوى القليل منها ، لأن الكنيسة دانت أتباعه و أبسلت بعض تعاليمه في عدّة مجامع وعلى الأخص في المجمع المسكوني الخامس . تتألف أعماله من مصنّفات تفسيريّة و دفاعيّة وعقائديّة و أخلاقيّة و رسائل .

تفسيريّة : انه مفسّر دقيق للكتاب و ناقد من الدرجة الاولى . لقد لاحظ ان الترجمة السبعينيّة قد تشوّهت ،فعمد الى ترتيب ترجمات العهد القديم في مؤلّف واحد دعاه "الكتاب السداسي" Ta Exaplà ويضمّ : النصّ العبري بأحرف يونانيّة ،ترجمة أكيلا ، ترجمة سيماخس ، الترجمة السبعينيّة ، ترجمة ثيودوتيون .

مصنّفاته التفسيريّة تقع في ثلاثة أبواب: ـ تفسير أسفار الكتاب.

ـ عظات لتفسير بعض مقاطعه .

ـ حواشي و تعليقات على مقاطع صعبة منه .

وأهمّها تفاسير وعظات حول سفر التكوين و الخروج و اللاويين و العدد و التثنية و الملوك الاول و القضاة و اشعياء و حزقيال و تثنية الاشتراع و أيوب و ارميا و لوقا و يوحنا و الرسالة الى أهل رومية وغيرها .

دفاعيّة: "ضد كلسوس" الفيلسوف الوثني الذي يعلم ان الكتاب المقدّس يمكن فهمه ضمن مجموعة الديانات الموجودة في روما .

عقائديّة: "في البادىء" يتكلّم فيه على الله و العالمين الروحي و المادّي وعلى علاقة الانسان بالله و حريّة الارادة و الخطيئة و الخلاص و الاصلاح النفسي .

أخلاقيّة: "في الصلاة" كتاب موجّه ضدّ الذين يظنّون ان الصلاة نافلة .

"الحثّ على الاستشهاد" موجّه الى أصدقائه لحثّهم على الاستشهاد و رفض السجود للأصنام .

رسائله : كتب أكثر من ١٠٠ رسالة لم يصل منها سوى رسالتين .

واحدة موجّهة الى يوليوس ابيفانيوس و اخرى الى غريغوريوس الصانع العجائب .

تعليمه : رغم انه تأثّر بالفلسفة و أدخل بعضا من مفاهيمها الى المسيحيّة و كثيرا من مصطلحاتها . فان عطاءه اللاهوتي يبقى مهمّا في تاريخ الادب المسيحي ،و مرجعا للاهوتيين اللاحقين .

اللـــه : اللـــه هو نواة اللاهوت و أســاسه ، انه واحد و ذو طبيعـة عقليّة بسـيطة . تعرف وجـوده من تناسـق الطبيعة و تآلفهـا . انـه كلّي القـدرة لكـــن لا يفعـل الظلم ، و الا لمـا كان الهـا . اذ عدلـه يكمـل صلاحـــه . اللـــه يخلـق منـذ البـدء ، فالابـن خرج منـذ البـدء منـه ، و هو أيقونة صلاح الآب ، الـروح القدس شخص الهي كذلك ، حلّ على الانبيـاء و الرسـل . يتّهم أنه نادى بالمرتبيّة في الثالوث الاقدس ، أى قال ان الابن و الروح خاضعان لـــلآب .

الخليقة : يضع الخليقة في اطار الابديّة ، لأن القبول بالخلق يعني تغييرا في جوهر الله . فالله لم يخف قوّته أبدا ، انما كان يظهرها دائما كخالق . كما أنه أراد دائمـا وجود مخلوقـات ليمارس معها المحبّة . لكن هذا العالم الحاضر لم يكـــن العالم الابدىّ ، اذ كانت توجد عدّة عوالم (هذا الاعتقاد هو فلسفي عرفاني) لم يكن الشّر موجود فيها بالفعل ، انما كأمكانيّة فقط . بالخطيئة ارتدت الاجساد المادة كألبسة جلديّة عقابا لها . هذا العالم المادّى وجد كمكان عقاب و تطهير للكائنـات العقليّـة التي ســقطت .

المسيح و الكنيسة : أتى المسـيح كي يسهّل تطهير النفوس في هذا العالم المادّى فقـط لأن نزوله كان رمزيّا ، و مرشـدا الناس الى الخلاص .

الكنيسة عنده ، هي رعيّة الله على الارض ، الحافظة قانون الايمان و المقدّمة للبشر وسائل التطهير من العالم .

الكمـال الروحـي : هنـاك ثلاث مراحـــل : ـ الايمـــان .
ـ المعرفـــة .
ـ الحكمـــة .

الايمان هو قناعة بالاله و سعي الى المعرفة التي تقود الى الحكمـــة الالهيّة ، التي هي دخـول في أســرار اللـــه .

الاصلاح الكوني : كلّ الموجودات في هذا العالم ظلال و صور عن الأبديّات ، و لذلك لا بدّ للنفوس ان ترجع الى الحقيقة الموجودة في العالم السماوى .

النفوس التي سارت على درب الكمال الروحي تنطلق مباشرة من هذا العالم الى العالم الروحي . أما النفوس الشريرة فتصل فيما بعد ، لأن تطهيرها سيحصل في تقمصها المتتالي في العوالم الاخرى . هـذا يعني ان العقاب موقّت حتى بالنسبة الى الشيطان ، الذى سيخضع في النهاية لله . عندها يتحقّق المجيء الجديد للمسيح و يقـوم النّاس بأجساد روحانيّـة ، لا يوجـد فيها أى شيء من الارضيّات .

السنة الثانية

= مدخل الى الآباء =

ديونيسيوس الاسكندري :

حياته :

ولد في بيت وثني ،لكنه اهتدى الى المسيحية . تتلمذ على يد اوريجنس وصار رئيسا على مدرسة الاسكندرية ومن ثم اسقف المدينة . في عهد داكيوس قبض عليه لاعترافه بالايمان المسيحي ،وفي عهد فاليريان نفي الى صحراء ليبيا ، لكنه عاد الى كرسيه بعد سنة واحدة فقط .

اثناء اسقفيته لعب دورا قياديا في محاربة هرطقة صباليوس التي تنكر الثالوث القدوس ،وتدخل في انهاء الشقاق النوفاتياني حول مسألة المرتدين ،لكنه لم يشترك في مجمع انطاكية المنعقد سنة ٢٦٥ بسبب مرضه الذي كان نهاية حياته الارضية .

كتاباته :

هي عديدة وقيمة ،الا انه لم يكتب سوى رسائل وابحاث قصيرة موجهة الى قادة الكنيسة ،باستثناء شرحه لسفر الجامعة .

اهم كتاباته : في الطبيعة ـ دحض وتفنيد .

لاهوته :

هو اول لاهوتي كبير في الكنيسة الجامعة . ظهر في مدرسة الاسكندرية معلم كنسي كبير وقديس من قديسي الكنيسة . افسافيوس دعاه " الرجل العظيم " . اما اثناسيوس فدعاه " معلم الكنيسة الجامعة " .

ولد وعاش في جو غير اورثوذكسي ،لكنه استطاع ان يترجم الحقيقة الالهية وينقلها للناس . على الرغم من انه تتلمذ على اوريجنس ،الا انه قد عاش التقليد وكتب فكره اللاهوتي ليعطي حلولا صحيحة لمشاكل الكنيسة .

كتابه " في الطبيعة " يدل على انشغاله الطويل بالفلسفة ،وعلى طريقة دخله للمفاهيم الفلسفية عن طريق الاستنتاجات العقلية والمفاهيم الفلسفية ذاتها . وهذه الطريقة مفيدة لغير المؤمنين ،اما المؤمنون فيتغذون بالاقوال الالهية فقط .

اما المواضيع التي عالجها في رسائله وكتب فيها فهي :

ـ قضية المرتدين :

يؤيد قبول المرتدين وذلك لأنه يشدد على الرحمة الالهية . فلقد دعا نوفاتيان الى العودة الى احضان الكنيسة ،رغم اتهامه اياه انه قد ادخل تعليما مدنسا كما انه دعا ممثلي الله الى الاقتداء بموقف الرحمة الذي تحلى به الراعي الصالح . اذ على المسيحيين ان يقتدوا بصلاح الله امام الخطأة والمرتدين كي تعم الرحمة بين المسيحيين .

ـ قضية معمودية الهراطقة :

حاول ديونيسيوس حل الخلاف الدائر حول قبول او عدم قبول معمودية الهراطقة فكبريانوس قال بعدم قبولها ،اما هو فميز بين معمودية المنشقين ومعمودية الهراطقة . قبل معمودية المنشقين ورفض معمودية الهراطقة .

ـ قضية صباليوس :

لقد وجهت اليه تهما عديدة في قضية الابن ،اهمها :

ـ فصل الابن عن الاب .
ـ رفض مقام الاب ومنصبه .
ـ انكار الوهية الابن .

وجوابا على هذه التهم ،كتب ديونيسيوس رسالتين واحدة الى بابا روما واخرى الى عامة الناس .

اما اهم نقاط الرسالة الاولى فهي :

ـ ادانة تعدد الالهة .
ـ ادانة صباليوس لعدم تمييزه بين الاب والابن .
ـ وحدة الكلمة والروح القدس وتداخلهما في الاب .
ـ جمع الاقانيم يتم في الضابط الكل .

ـ تجزئة الله هي تجزئة مرقيونية شيطانية .
ـ ادانة القول ان الابن مخلوق .
ـ تثبيت العقيدة من خلال ايات الكتاب .

في الرسالة الثانية :

ـ يؤكد على ازلية الابن ويقول انه من جنس الاب وطبيعته . وهو شعاع نوره ونهر للينبوع ونور للشمس وحياة من حياة ونور من نور . لم يكن هناك زمان لم يكن فيه الله ابا . كذلك لم يكن من زمان لم يكن فيه الابن ابنا . ان وجود الابن معروف باشراقه ومن المستحيل ان يوجد نور لايشرق .
ـ يثبت ان الابن مساو للاب لكنه لم يستخدم لفظة اوموووسيوس ، كما انه يقاوم اللاهوت اللااقنومي الذي ينادي به صابيليوس .
ـ يرد التهمة الموجهة اليه انه نادى ان الابن مخلوق .
ـ عنده الله هو العقل الاعلى والابن هو الكلمة ،وهما وحدة لاتتجزأ .

ـ قضية بولس السميسطائي :

عندما دعي الى مجمع انطاكية المنعقد للبحث في قضية بولس ،لم يستطع الذهاب لأنه كان مريضا . فكتب الى كنيسة انطاكية موضحا موقفه من بولس القائل " ان يسوع هو انسان عادي ـ اي مخلوق صالح حل في احشائه روح الله .
ـ قضية الالفية :

احد اساقفة مصر رفض التفسير الرمزي الشائع في الاسكندرية ومال الى التفسير الحرفي . لذلك وصل الى الالفية من خلال تفسيره للمقطع الموجود في سفر الرؤيا حول ربط الشيطان لألف سنة . كتب ديونيسيوس رسالتين يحارب فيهما هذه الهرطقة مستخدما بحثا لاهوتيا فيلولوجيا في تفسير المقطع المذكور . من هنا نعتبر انه اول اب طرح مسألة التقليد والبحث النقدي للكتاب المقدس .
ويقال انه قضى ثلاثة ايام يجادل اتباع الالفية الى ان افحمهم .

ـ قضية تعييد الفصح :

في عهده ابتدأ في الاسكندرية تقليد بارسال كتاب من قبل الاسقف الى كل الكنائس هناك لتحديد الفصح والصوم . وهذه الرسائل تفهم ايضا كوسيلة تفاهم وتثبيت الوفاق والاشتراك بين الكنائس .

ينسب البعض الى هذا القديس اربعة قوانين ارسلها هو نفسه الى اسقف اسمه باسيليوس فاحصيت مع القوانين المقدسة (انظر الشرع الكنسي صفحة ٨٧٤) .

المدرسة الانطاكية :

لقد وصلت البشارة الى انطاكية مع الرسل القديسين واعطت ثمارا صالحة عند اعتلاء اغناطيوس المتوشح بالله السدة الاسقفية فيها . وظل اللاهوت الارثوذكسي الاساس الايماني للمسيحيين زمنا طويلا وعرفت انطاكية عددا كبيرا من الاباء العظام مثل ثيوفيلوس الانطاكي ويوحنا الذهبي الفم وغيرهم .

لكن الى جانب هذا الخط اللاهوتي القويم انشئت مدرسة لاهوتية تناهض هذا الخط . فجمعت انطاكية ، بهذا ، بين اتقى لاهوت اورثوذكسي وبين اكثر الهرطقات خطرا على الايمان . مؤسس هذه المدرسة اللاارثوذكسية هو لوقيانوس السميسطائي الذى درس في الرها وفي الاسكندرية ومن ثم استقر في انطاكية حيث اسس المدرسة المذكورة التي تعارض التفسير الاستعاري . وكان متضلعا بالارامية والعبرية الى جانب اليونانية ، هذه المعرفة اللغوية اهلته لنشر الترجمة السبعينية بعد ان قابلها على النص الاصلي ، وذلك لتفادى التشويه الحاصل ، كما نشر العهد الجديد بنصه الدقيق . اما في الخريستولوجيا فابتعد عن تعليم الكنيسة فكان هذا بداية انحراف خطير ، لذلك وصف بانه سابق لآريوس او " آريوس قبل آريوس " ، اذ قال ان يسوع التاريخي يختلف عن كلمة الله .

بعد لوقيانوس اتى عدد كبير من الذين نهجوا المنهج ذاته ، اى نادوا بخريستولوجيا ثنائية من هؤلاء ابوليناريوس ودوروس الطرسسي وثيودوروس الميسوستي ونسطوريوس وغيرهم . فلقد تكلموا على سكنى الكلمة في الجسد ولم يتكلموا على تجسد حقيقي ، اى ان كلمة الله هو ابن لله بالطبيعة ، في حين ان ابن مريم هو ابن الله بالنعمة . هذا الاعتقاد كان نتيجة لانطلاقهم من مبدأ فلسفي واحد وهو ان كل كائن يتحد بالكائن المساوى له في الجوهر ويتحد بالمسرة (κατ' εὐδοκίαν) بالكائن ذى الجوهر المخالف . فكل ما هو بحسب الطبيعة ، يكون ضروريا . اذن الاتحاد الطبيعي بين الله و الانسان مستحيل عندهم . اذ بما ان الابن مساو للآب في الجوهر وليس مساويا لنا ، لذلك يتعذر عليه ان يتجسد تجسدا حقيقيا .

لكن من جهة اخرى ، كانت هذه المدرسة رائدة في شرح الكتاب شرحا علميا وفي تثبيت النص العلمي للكتاب بعهديه القديم والجديد ، فعارضت التفسير الاستعارى المستخدم في مدرسة الاسكندرية ، واهتمت بالتفسير التاريخي والعلمي له . اما رموز الكتاب فهي ، بالنسبة لهم ، استثناء وليس قاعدة .

هكذا امتاز منهجها التفسيرى بالواقعية والوضوح والبساطة ، الا انها اعتمدت الأسس الفلسفية منطلقا لايمانها ، فأتى انحرافها كبيرا .

٤ ـ ترياق العقرب: يشدد على اهمية الاستشهاد التي رفضها العرفانيون .

٥ ـ جسد المسيح : يدحض المفاهيم الدوكينية عن خيالية جسد المسيح .

٦ ـ قيامة الجسد : يأتي ببراهين كتابية ومنطقية لاثبات حقيقة القيامة التي ينكرها العرفانيون .

٧ ـ في النفس: يبحث في طبيعة النفس.

ج ـ الكتب العطية :

١ ـ الى الشهداء : لتعزية الشهداء المسجونين .

٢ ـ الصبر : يتحدث عن فضائل الصبر.

٣ ـ الصلاة : يفسر الصلاة الربانية التي هي تلخيص للانجيل كله .

٤ ـ التوبة : التوبة هي التي تسبق المعمودية ،لكن الكنيسة تسمح بتوبة ثانية بعدها .

٥ ـ مشاهدة المسارح : يحرم المسيحيين من التردد الى المسارح الوثنية اللااخلاقية ،في نهاية الكتاب يصور مشهد الدينونة الاخيرة .

٦ ـ عبادة الاصنام : لا يفرض على المسيحيين الابتعاد عن عبادة الاصنام فقط ،بل يفرض عليهم كذلك تجنب كل خدمة سياسية ذات علاقة بعبادة الاوثان .

٧ ـ الى زوجته : يوصي زوجته الا تتزوج بعد موته او ان تتخذ لها زوجا اميا .

٨ ـ زينة النساء : ينتقد ميل النساء نحو الفخفخة والتبرج لان في هذا عمل الشيطان .

٩ ـ غطاء الرأس عند النساء : يوصي العذارى والمتزوجات ان يضعن غطاء على رأسهن اثناء الصلاة .

١٠ ـ الحث على الطهارة : يقنع احد اصدقائه الا يتزوج ثانية ،لان هذا الزواج نوع من الزنى .

١١ ـ الزواج الاحادي : الزواج احادي لان الله واحد .

١٢ ـ الصوم : يؤيد صوم المونتانيين الصارم .

١٣ ـ العفة : يقول ان الكنيسة لا تستطيع ان تغفر الخطايا الميتة مثل الزنى الله وحده يفعل هذا .

١٤ ـ الهرب من الاضطهاد : يحرم الهرب من الاضطهاد والعذاب.

١٥ ـ الاكليل : الايمان المسيحي ،عنده لا يقبل بخدمة المؤمنين في الجيش.

١٦ ـ العباءة : يبرر نفسه ،لانه ارتدى عباءة فلسفية وليس عباءة رومانية .

ترتليان ١٥٠ـ٢٢٥ :

ولد سنة ١٥٥ في قرطاجة من ابوين وثنيين ،حصّل معرفة بوسوعية واتقن معرفة القانون والخطابة والفلسفة ،واجاد اليونانية واللاتينية • مارس مهنة المحاماة في روما ،حيث اهتدى الى المسيحية لمشاهدته شجاعة المسيحيين في الاستشهاد • ترك روما واتى الى قرطاجة حيث شرطن كاهنا • وفي بداية القرن الثالث مال الى المونتانية التي تتوقع مجيء الرب بسرعة ،وتعيش حياة اخلاقية قاسية منتظرة هذا المجيء ،واسس مذهبا خاصا به عرف بالمذهب الترتلياني ،الذي يبتغي ايصال الناس الى معرفة الحقيقة، وبقي هذا المذهب حتى القرن الرابع •

كتاباته :

ترتليان كاتب كثير الانتاج ،خلّف لنا عددا كبيرا من الكتابات التي تقسم الى ثلاثة اقسام : ـ دفاعية ومقاومة للهرطقات
ـ عملية (التي تتعلق بمسائل الاخلاق والنسك والعبادة)

أ ـ الكتب الدفاعية :

١ ـ كتابان الى الامم : يبرهن فيهما لا عدالة الحجج الموجهة ضد المسيحيين ،وتصرف الوثنيين الشائن •

٢ ـ الدفاع : يحتج على اساءة الامميين فهم الدين المسيحي ويدحض الحجج التي وجهت الى المسيحيين من اجرام بحق الدولة وآلهتها ومن تصرف اخلاقي شاذ • ويعلي شأن الدين المسيحي المعلن من الله •

٣ ـ شهادة النفس: بما ان النفس تستدعي اسم الله في ساعات الحزن والفرح ،فهي مسيحية في طبيعتها •

٤ ـ ضد اليهود :فيه يقول ان الله توجه الى الامميين بقساوة قلب اليهود • ومن ثم يبرهن ان يسوع هو مسيّا •

٥ ـ الى سكابولام (Ad Scapulam) : يؤنب حاكم افريقيا سكابولام على اضطهاده للمسيحيين •

٦ ـ ضد بركسيا :كتاب عن الثالوث •

ب ـ الكتب المقاومة للهرطقات :

١ ـ معارضة الهراطقة : الحقيقة توجد في الكنيسة ،اما في الهرطقة فهناك الابتداع والكذب • فالرسل اودعوا الانجيل عند الكنائس ،ولذلك لا يحق للهراطقة استخدام الكتاب •

٢ ـ ثلاثة كتب ضد بعض الهراطقة :

ـ ضد ارموجنس الذي رفض حقيقة الخلق •
ـ ضد مركيون ،ليؤكد على وحدة العهدين القديم والجديد •
ـ ضد فالنديانوس،

٣ ـ في المعمودية : رفض فكرة غايوس القائلة ان معمودية الماء غير ضرورية •

كبريانوس : ٢١٠ـ٢٥٨

ولد في قرطاجة في بيت وثني ، تلقى علوما كاملة ، واتقن الادب اليوناني واللاتيني ، ومن ثم مارس تعليم الخطابة . لكن الكاهن كايكليانوس هداه الى المسيحية فوزع ثروته على الفقراء . وهذا الاهتداء اثار سخرية الوثنيين اذ دعوه كوبريانوس (من الزبل Κόπρος) ، اما هو فمارس حياة التقشف والنسك ، غير مهتم بهذه الاقوال . ولجأ الى دراسة الكتاب والمؤلفات الابائية وخصوصا مؤلفات ترتليان الذى سمّاه معلما . وبعد سنتين سيم كاهنا وبعد ذلك اسقفا . لكن بعض الكهنة طعنوا بسيامته وحاولوا مقاومته فكيف لم يبال ساعيا الى اصلاح الكنيسة وتنظيمها . بعد سنة واحدة من اسقفيته شنّ داكيوس اضطهادا عنيفا ضد المسيحيين ، وقام الشعب الوثني يطالب بأن يرمى كبريانوس للوحوش .

اما هو فترك قرطاجة ، ليدير رعيته من مخبئه . في هذا الاضطهاد استشهد عدد كبير من المؤمنين ، وارتد بعضهم ، واشترى البعض الاخر شهادات تدل على اعترافهم بالايمان الوثني . لذلك واجهته مشكلة كبيرة بعد عودته ، اذ اوجب بعضهم استخدام الشدّة تجاه المرتدين ، واوجب غيرهم اللين ، وتألفت جماعة انفصالية تحت قيادة الشماس فيلكيسموس تدعو الى قبول الساقطين فورا . اما موقف كبريانوس فاوجب دخول الساقطين في دور التوبة ، وثبت موقفه بقرارات مجمعية قاطعا هذه الجماعة الانفصالية . بعد انهاء هذه المشكلة ، قام الجدل حول شرعية معمودية الهراطقة فلم يعترف بها ، وقام بابا رومية الذى كان يتساهل بالامر .

وفي سنة ٢٥٧ اشتعل نار الاضطهاد من جديد ، فأرسل كبريانوس الى المنفى ثم اعيد ليقتل . فكان اول اسقف افريقي يحصل على الشهادة .

مصنفاته : كتاباته عملية ورعائية وشعبية . اهمها :

الى دوناتوس : كتاب دفاعي موجه الى صديقه دوناتوس ، يصف فيه اهتداءه الى المسيحية ، ويشير الى تفوق الاخلاق المسيحية على الاخلاق الوثنية .

لباس العذارى : يوجب في هذا الكتاب الاحتشام في اللباس ومساعدة الفقراء وتجنب الاعراس والحمامات العامة .

الساقطون : بعد انتهاء اضطهاد داكيوس وجه كتابا الى كنيسة قرطاجة شاكرا الله على السلام ومشيدا بصمود الشهداء ومتأسفا لارتداد البعض . ومن ثم تكلم عن المبادئ التي على اساسها يجب ان نعامل الساقطين الذين يجب ان يخضعوا للتوبة قبل قبولهم . وفي هذا الكتاب يميز بين الساقطين فورا والذين سقطوا بعد تعذيبهم .

وحدة الكنيسة : قال ان الشقاق هو من عمل الشيطان وهو هادم الايمان . لذلك فان الوحدة هي الامل الوحيد للخلاص .

في الفصل الرابع هناك نصهم عن تساوى بطرس مع الرسل ، وان كان متقدما عليهم .

الصلاة الربانية : تفسير للصلاة الربانية وايضاح لمعاني الصلاة عامة . الصلاة الربانية عنده ، توجب وحدة المؤمنين ، لانها جاءت في صيغة الجمع . وعبارة " ليأت ملكوتك " تشير الى المجيء الثاني . والخبز الجوهري " هو جسد المسيح في الافخارستية . واخيرا يشدد على ضرورة الصوم والعطاء مع الصلاة .

الى ديميتريانوس : يهاجم فيه ديميتريانوس الوثني الذى اعتقد ان سبب ويلات العالم هو ابتعاد المسيحيين عن الالهة الوثنية ويقول ان السبب هو فساد الامميين واضطهاد المسيحيين ، والالهة الوثنية ليست سوى اباليسة .

الى ديميتريانوس : يهاجم فيه ديميتريانوس الوثني الذى اعتقد ان سبب ويلات العالم هو ابتعاد المسيحيين عن الالهة الوثنية ، ويقول ان السبب هو فساد الامميين واضطهاد المسيحيين ، والالهة الوثنية ليست سوى اباليسة .

الفناء والموت : هذا الكتاب هو لتعزية الذين يعانون من الطاعون . اذ ان الموت لا يخيف المسيحي بل يجعله ينظر بفرح الى مصيره الفردوسي .

الاحسان والعمل الصالح : الاحسان والاعمال الصالحة هي تكملة للمعمودية ومساعدة على غفران الخطايا . والمحسن لا يخاف الفقر ، لان العطاء مرضي لدى الرب .

صلاح الصبر : هو لتهدئة الذين اثارتهم معمودية الهراطقة .

الحقد والغل : يصور النتائج الوخيمة لهاتين الخطيئتين اللتين هما من زرع الشيطان .

الى فورتوناتوس : لتشجيع فورتوناتوس في الثبات بوجه الاضطهادات ولتثبيت الاخوة وتقويتهم .

الى كيرينيوس : مؤلف من ثلاثة اجزاء : ـ ضد اليهود .

ـ الوهة المسيح ورسالته .

ـ الواجبات الاخلاقية في المسيحية .

لاهوته : اذا كان ترتليان اول لاهوتي كتب باللاتينية ، فان كبريانوس هو اول لاهوتي ارثوذكسي كتب باللاتينية . لقد كان كاتبا وراعيا وشهيدا وابا ومعلما ، تجاوز نزعة ترتليان الفردية فأتى لاهوته صحيحا وجامعا ، وظل مرجعا لاهوتيا مهما في الغرب ، وعلى الرغم من ان ترتليان هو معلمه فلقد امتاز عنه : بالمحافظة على التقليد

والوعي الكنسي الصحيح

والاتزان

وفي نجاحه في مواجهة

ازمات عصره .

كبريانوس لا يستخدم الفلسفة ولا المصطلحات الميتافيزيقية ولا يتكلم بطريقة نظرية مجردة ، انما يثبت الحقيقة عن طريق تفسير الكتاب والتمسك بالتقليد .

في كتاباته نعرف ان عصره قد واجه مشاكل عديدة اهمها :

١) ـ الغفران للساقطين .

٢) ـ كثرة المنشقين وكثرة الذين يعتبرون انفسهم انهم الكنيسة الحقيقية .

٣) ـ معمودية الهراطقة .

١) ـ في قضية الساقطين اعطى كبريانوس حلا صحيحا ، اذ رفض مبدأ النوفاتيانيين المتطرف ، الداعي الى عدم قبول الساقطين .

ـ مبدأ تساهل بعض الكهنة المكتفين بتقديم اعتراف ايماني وقال ان قبول الساقطين من واجب الكنيسة لكن بعد توبة كافية .

شخصيته ولاهوته : اول لاهوتي كبير كتب باللغة الاتينية ،فامتاز في كتاباته الكثيرة بمعرفته الواسعة والابداع والحيوية وقدرة الخيال ومقدرة الجدل والجوار . لكنه كان لا يعرف الاعتدال والحكمة . اذ آمن بحضور المعزي السريع وباكتمال الجماعة المثالية (المونتانية) .

اهتداؤه الى المسيحية كان بسبب رؤيته شجاعة المسيحيين اثناء الاضطهاد لذلك آمن بالمثالية ولم يغفر للخطأة ،ولم يقبل الحوار مع اعداء المسيحيين فعاملهم بتحقير كبير . هذا التطرف جعل الغرب يفقد طريقه اللاهوتي ،لكنه وجد اللاتينية لغة للتعبير اللاهوتي .

ان فكرة الحقوقي والخطابي والسفسطائي كان سلاحه الاول . استخدم الفلسفة ،لكنه رفضها ورفض علاقتها بالمسيحية قائلا : " اية علاقة بين اثينا واورشليم ، بين الاكاديمية والكنيسة ،بين الهراطقة والمؤمنين ؟ اننا بريئون من الذين ابتدعوا مسيحية رواقية او افلاطونية او جدلية . بعد المسيح لسنا بحاجة الى شيء " . واعتبر الفلاسفة مشوهي الحقيقة والمسؤلين عن الهرطقات ،لكنه استعار من الفلسفة ، وخصوصا الرواقية ،بعض المعاني الاساسية . اى انه استند الى الحقوق والفلسفة والى والمونتانية والكتاب المقدس .

كان اول من استعمل لفظة(الثالوث) بعد ثيوفيلوس الانطاكي . الابن عنده من جوهر الاب ،والروح هو من الاب بالابن . لفظة الشخص " persona " تشير عنده الى الصفات الاقنومية لكنها تعبر عن وحدة الجوهر . قال بولادة ثانية للابن ومن هنا دخلت فكرة المرؤوسية (Subordination) .

ويفرق في الخريستولوجيا بين الطبيعتين الالهية والانسانية . اى ان المسيح كان الها وانسانا . فكإلهقام بالاعمال الالهية وكإنسان قام بالاعمال الانسانية . وحتى يثبت الطبيعة الانسانية ضد المشبهة قال ببتولية مريم في الحبل ،الا انه اعتبر اخوة الرب ابناءها في الجسد .

وكما قلنا انه آمن بمناقبية قاسية ،وهذا اثر على لاهوت الكنيسة عنده .ففي بداية الامر اعتبرها اما وخزينة الايمان وحافظة الاعلان لكنه عندما مال الى المونتانية قال ان الكنيسة هي جماعة الروحانيين . وهذا الميل جعله يؤمن بالالفية ويفرض حياة قاسية على نفسه وان يمنع المؤمنين من ممارسة بعض الاعمال الاجتماعية .